

المقنن

الجزء السادس من المجلد الثالث

جمادى الثانية سنة ١٣٢٦ الموافق يوليو (تموز) سنة ١٩٠٨

صَدْرُ الْمُتَتَبِّحِ وَالْمُعْجَلِ

عبد الله بن المقنن وعبد الحميد بن يحيى

نشأ العربية في اوائل القرن الثاني للهجرة كاتبان بليغان يحسب ان يدعيا واضعي اساس الانشاء العربي وناسحي طريقة الكتابة المرسلة فكانا متاراً يبتدى به الى يوم الناس هذا ونعني بهما عبد الله بن المقنن وعبد الحميد بن يحيى الكاتب . ظهر هذان الامامان واللغة في عصرها الاولى فكان لهما من فطرتهما السليمة اعظم مساند لما على التبوع وزادت شهرتهما الانصافا بالخلفاء والامراء ومرانهم على الكتابة في الاغراض الكثيرة التي كانت تطلب اليهما فيفوضان عباها مجليين مبرزين .

نشأ ابن المقنن في العراق على ما ينشأ عليه ابناہ اليسار وكان والده يتخل نخلة بحرس الفرس ولي خراج فارس للعباج بن يوسف الثقفي في الدولة الاموية . ولقب بالمقنن لان الحجاج ضربه فثقت يده اي تشخت لمدها لالاخذ الاموال على ما يقال . وربي ابنه عبد الله تربية اسلامية واولع بالعلم وهو مكفي المؤونة فجاء منه في سن العشرين ما يندر ان يكون مثله لابناء الاربعين والخمسين . واتصل بعيسى بن علي عم السفاح والمنصور الخلفيتين الاولين من بني العباس وكتب له واختص به واراد ان يدين بالاسلام فجاء الى عيسى

ابن علي وقال له : قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك . فقال له عيسى :
ليكن ذلك بمحض من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر . ثم حضر طعام عيسى
عشية ذلك اليوم فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس فقال له عيسى : انزعم
وانت على عزم الاسلام فقال : اكره ان ابيت على غير دين . فلما اصبح اسلم على يده فسمي
عبدالله وكني بابي محمد .

ثم كتب ابن المقفع التي طار ذكرها كتاب كاتبة ودمنة الذي نقله عن الفارسية
ورسلاته المعروفة بالتيمة في طاعة السلطان . قال القفطي وهو اول من اعتنى في الملة الاسلامية
بترجمة الكتب المنطقية لابن جعفر المنصور وترجم كتب ارسطو طاليس المنطقية الثلاثة وهي كتاب
قسطيغورياس وكتاب باري ارمينياس (او بارميناس) وكتاب اناطوليقا وذكر انه ترجم
اساغوجي تأليف قرفور يوس الصوري . والارجح انه نقل هذه الكتب عن الفارسية او نقلها له
ناقل عن اليونانية وصاغها هو في قالب عربي فنسبت له اذ لم يثبت انه كان يعرف غير
الفارسية من اللغات . وعيارة ابن ابي اصبعة في تاريخ الاطباء تشبه قول القفطي في تراجم
الحكام والغالب انهما نقلتا عن مصدر واحد مع تغيير طفيف في عبارتهما .

قال ابن النديم واسمه بالفارسية روزبه وهو عبدالله بن المقفع ويكنى قبل اسلامه
اباعمر وقلما اسلم اكنى بابي محمد والمقفع ابن المبارك انه نفع لان الخجاج بن يوسف
خبره بالبصرة في مال احتجته من مال السلطان ضرباً مبرحاً فنقضت يده واصله من خوز
مدينة من كوز فارس وكان يكتب اولاً لداود بن عمر بن هبيرة ثم كتب لعيسى بن علي
على كرمان وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة كاتباً شاعراً فصيحاً وهو الذي عمل شرط عبدالله
ابن علي على المنصور ونصّب في احتياطه فيه فاحفظ ذلك اباجعفر فلما قتله سفيان بن معاوية
حرقاً بالنار وقع ذلك من المنصور بالموقع الحسن فلم يطلب بثاره وُطِّلَ دمه وكان احد الثقل
من اللسان الفارسي الى العربي مضطرباً باللغتين فصيحاً بهما وقد نقل عدة كتب من كتب
الفرس منها كتاب خديانامه في السير كتاب آيين نامه في الاصر كتاب كاتبة ودمنة كتاب
مزدك كتاب التاج في سيرة انوشروان كتاب الآداب الكبير ويعرف بآقراحيس كتاب
الادب الصغير كتاب التيمة في الرسائل .

وقال ان ابالحاموس ثور بن يزيد اعرابي كان بفد البصرة على آل سليمان بن علي
وعنه اخذ ابن المقفع الفصاحة ولا مصنف له وقال : بلغنا الناس عشرة عبدالله بن المقفع .
عمارة بن حمزة . حمير بن محمد . محمد بن حمير . انس بن ابي شج . وعليه اتفق احمد بن
يوسف الكاتب . سالم . معدة الحرير . عبد الجبار بن عدي . احمد بن يوسف . وذكره

في السعراء الكتاب فقال انه مقل وقال وقد كانت الفرس نقلت في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب ان اللغة الفارسية فنقل ذلك الى العربي عبدالله بن المقفع وغيره وقال في لكتب المصنفة في الاسماء والخرافات ان عبدالله بن المقفع من جملة من كان يعمل الاسمار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم .

والراجح ان الحسد غلت مراجله في صدور بعض معاصريه والمعاصرة كما قيل حرمان فنسبوا اليه ما نسبوا من الزندقة لقصورهم عن بلوغ شأوه او لغرض في انفسهم قال ابن حلكان نقلاً عن الجاحظ : ان ابن المقفع ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد كانوا بتهمون في دينهم قال بعضهم : كيف نسي الجاحظ نفسه . قلنا وبعبارة الجاحظ في بعض رسائله بشأن ابن المقفع تشير الى قصوره في علم الكلام فقط فانه قال :

فصل "ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبدالله بن المقفع ويكنى ابا عمرو وكان يتولى لآل الاهتم وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير وكان جواداً فارساً جميلاً وكان اذا شاء ان يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لاقليلاً ولا كثيراً وكان ضابطاً لحكايات المقالات ولا يعرف من ابن عمر المغتر ووثق الواثق واذا اردت ان تعتبر ذلك ان كنت من خالص المتكلمين ومن النظاريين فاعتبر ذلك بان تنظر في آخر رسالته الهاشمية فانك تجد جيد الحكاية لدعوى القوم ردي المدخل في مواضع الطعن عليهم . وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك انه لا يحمل عقله على شيء الا بعد به اه

لاجرم ان اطلاق ابن المقفع لسانه في المعتزلة دعا احد ائمتها الى ان يصدر عليه هذا الحكم الغريب ولكن الجاحظ ايضا على ثبوت تدنيه لم يسلم من هذا الطعن كما رأيت . وان مسألة التهبة في الدين من الامور التي شاعت في كل عصر ومصر ويكون المتبحرون بها في معظم الاحوال ابرياء والا فكيف تسجل الزندقة على ابن المقفع اذا جرينا مع الدليل . وليست الزندقة بحثاً عما يضره الانسان في نفسه لان مثل هذا لا يطاع عليه الا الله تعالى ويكنى ان يقال هلاً شققت عن قلبه . بل الزندقة التي نذكر في الكتب وتترتب عليها الاحكام ويسوء ان يقال عن فلان انه زنديق امور تقوم عليها بذات ظاهرة من اقوال وافعال وكلام ابن المقفع في الدين يدل على شدة تمسكه وفرط ميله على ما يتجلى لك من رسائله . ولو كان ثم سبيل لما ينسب اليه لاسيما مع غضب المنصور عليه لكانت الاقرب ان يتقرب مثل المنصور بنثل ذلك وفيه ما فيه من ارضاء العامة وشفاء الغليل من العدو بحيث ينقم منه مع اسقاطه ولا يعدم المنصور حينئذ حيلة في قتله جهاراً بهذه التهبة . اما

اتهم ابن المقفع بمعارضة القرآن فتتصرف على القاعدة في اتهامه بالزندقة وما نظن القاضي عياض والباقلاني الا ناقليين عن اناس من اهل السذاجة ومع ذلك فانهم اقالا انه اناب .
 التهمة بالزندقة امر نشأت منه مضار كثيرة حتى لم يخل منها مثل الامام الغزالي الذي كان اعظم انصار الدين فانظر الى كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة الذي الفه في الرد على اولئك الذين نسبوا اليه ما نسبوا فان فيه الغناء واغرب من ذلك القيام على أبي حاتم (١) ابن حبان البستي امام المحدثين في عصره وصاحب الصحيح المشهور به والكتب الممتعة الكثيرة واستحصال الامر بقتله لو لم ينبج من ذلك بعوارض لا تحظر في البال

ومعارضة القرآن اكثر ما نسب للزندقة المشهورين بالادب والفضل بشيع ذلك اناس يقصدون اهلاك عدوهم بأي وسيلة كانت او اناس هم اقرب الى الزندقة ممن ينسبونهم اليها حتى ان أبا العلاء المعري على اضطراب الاقوال في نهاية امره مع ما علم به من احواله قد عزي اليه كتاب كان معروفاً في بلاد المغرب يسمى بالفصول والغايات ولا يتوقف من كان قريب العهد من عصره في انه عمله في معارضة السور والآيات وكان كثير ممن يميلون الى أبي العلاء المعري من اهل المغرب يعجبون بما وقع فيه من سخافة القول الذي يخط عن جميع كلامه المعروف مع انه ليس له يد في الكتابة كما علم من كتاب سر الفصاحة وكلامه في رسالة الغفران بنادي بخلاف ذلك (٢)

وعلى الجملة فان نسبة الزندقة الى ابن المقفع لا تثبت بوجه من الوجوه التي تعقل في اثباتها واذا نظرنا الى ما يتعلق بالغيب فالحكم الشرعي انه هو والناسبون اليه جميعاً في معرفة ما

(١) راجع ترجمته في معجم البلدان لياقوت في مادة بُسْتُ

(٢) قال المعري في رسالة الغفران عند كلامه على ابن الراوندي الزنديق الذي صنف في الرد على القرآن : بس ما نسب الى راوند فهل قدح في دباوند انما هتك قميصه وابان للناظر خميصة واجمع ملحد ومهتد وناكب عن الحجة ومقتدان هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب بهر بالاعجاز ولتي عدوه بالارجاز ما حذي على مثال ولا اشبه غريب الامثال ما هو من القصيد الموزون ولا الرجز من سهل وحزون ولا شاكل خطابة العرب ولا صبيح النكهة ذوي الارب وجاء كالشمس اللائحة نوراً المشرقة والبائحة لو فهمه الهضب الراكد لتصدع او الوعول المعصمة لراق الدائرة والصدع وتلك الامثال تضربها للناس لعلهم يفكرون وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في افصح كلم بقدر عليه الخلقون فيكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق والزهرة البادية في جدوب ذات نسق فتبارك الله احسن الخالقين

ينطوون عليه سواء لانه لم يذهب احد الى ان الايمان يتيسر اثباته بالبرهان الا اذا ورد عن الشارع في شخص معين اثبات الايمان او لوازمه لرجل بعينه .

وتمهة الزندقة الشنعة كثيراً ما يتهم بها المشتغلون بالفلسفة امثال ابن رشد والفارابي وابن الصائغ وابن سينا ونسب لهذا انه عارض القرآن وقد كتب رسالة في رد اقتراء من افترى عليه ذلك . ومن هنا تظهر لك حسن سياسة المأمون لان فتح باب البحث عن الزنادقة قد اوجب من المضار ما لا يحصى كما يعلم من التواريخ بما كان عصر المأمون اقرب الى قلة الزندقة في الحقيقة من العصور التي كثرت فيها المفكرين بها وغيرهم ممن يراد الانقاص منهم .

عرفت بهذا ان كلام القائلين بزندقة ابن المقفع مع ما عرف من كلامه هو من ذلك الباب . قال المرتضى في اماليه روى ابن شبة قال : حدثني من سمع ابن المقفع وقد مرّ بيت نار لمجوس بعد ان اسلم فلمحه ومثّل

يا بيت عائكة الذي اتعزل حذر العدى وبك الفؤاد موكل

اني لا مئخك الصدود واني قسماً اليك مع الصدود لا ميل

وقال صاحب الاغانى نقلاً عن الجاحظ : كان والبة بن الحباب ومطيع بن اياس ومنقذ ابن عبد الرحمن الهلالي وحفص بن ابي وردة وابن المقفع ويونس بن ابي فروة وحماد بن عمار وعلي بن الخليل وحماد بن ابي ليلى الراوية وابن الزرقان وعمارة بن حمزة ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ وبشار المرعي وابان اللاحقي ندماً يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترقون ويحبو بعضهم بعضاً حزلاً وعمداً وكلهم متهم في دينه . قلنا واجتماع المشاككين قديم في الناس والغالب انهم يخرجون من ادخال من ليس على شاكلتهم في زمرتهم فيتممون بما هم منه براء كما اتهم جماعة ابي حيان التوحيدي الذي نقل بعض مجالسهم الفلسفية في مقابساته وكانوا من اهل النحل المختلفة تجمع بينهم جامعة العلم والفلسفة كما جمعت بين ابن المقفع واصحابه جامعة الادب فقالوا انهم كانوا يجتمعون على شراب واتهمهم بالمروق . وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ ذكر اناس كانوا شديدي التصافي والاتحام مع شدة التباين في المذاهب .

اما كيفية مقتل ابن المقفع فقد اجمع مترجموه على انه كان يسبب كتابته اماناً لعبده الله ابن علي قال فيه : ومتى غدر امير المؤمنين بعمره عبدالله فساؤه طواقق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون في حل من بيعته . فاشد ذلك على المنصور جداً وخاصة امر البيعة وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبى وهو امير البصرة من قبله . فقتله وكان سفيان هذا شديداً الحقنى عليه لان ابن المقفع على ما يقال كان ينال منه ويستخف به حتى عزم على ان يغتاله فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله سرّاً في داره ويقال انه عاش ستاً وثلاثين سنة . وسأل

سليمان وعيسى عنه فقيل انه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها فخاصمه الى المنصور
واحضراه اليه مقيداً وحضر اليهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج فاقاموا الشهادة
عند المنصور فقال لهم المنصور : انا انظر في هذا الامر . ثم قال لهم : ارايتم ان قتل سفيان به ثم
خرج ابن المقفع من هذا البيت واثار الى باب خلفه وخاطبكم ما تروني صانعا بكم اقولكم بسفيان .
فرجموا كلهم عن الشهادة واضرب عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا ان قتله كان برضا المنصور
ولا بن المقفع شعر قليل ولكنه جيد نقل له صاحب الحياصة ثلاثة ايات . يقال انه
رثى بها يحيى بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه رثى بها ابن ابي العوجا وهي

رثينا ابا عمرو ولا حي مثله فله ريب الحادثات بين وقع

فان تك قد فارقتنا وتركنا ذوي خلة ما في اسداد لها طمع

لقد جر نفعا فقدنا لك اننا امنّا على كل الرزايا من الجزع

قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبه في ان الخير مزوج بالشر والشر مزوج بالخير—فنا مل .
وما يذكر عن ابن المقفع ما رواه صاحب الاغانى وغيره قال حدثني البزدي قال
حدثني عمي عبيد الله قال حدثني احمد قال سمعت جدي ابا محمد يقول : كنت الى الخليل
ابن احمد فيقول لي احب ان يجمع بيني وبين عبد الله بن المقفع فجمعت بينهما فمر لنا
احسن مجلس واكثره علماً ثم اترقنا فلقيت الخليل فقلت له : يا ابا عبد الرحمن كيف رأيت
صاحبك قال : ماشئت من علم وادب الا اني رأيت علمه اكثر من عقله . ثم اقيمت ابن
المقفع فقلت له : كيف رأيت صاحبك قال : ماشئت من علم وادب الا ان عقله اكثر من
علمه . وقال المرتضى ان من جمعها كان عباد بن عباد المهلبى فحادثا ثلاثة ايام ولياليهن .

قال الاصمعي : قيل لابن المقفع من ادبك فقال : نفسي اذا رأيت من غيري حسناً اتيته
وان رأيت قبيحاً اتيته . ودعاه عيسى بن علي الغدادي فقال : اعز الله الامير لست بومي للكرام اكيلاً
قال : ولم ؟ قال : لاني مزكوم والزكاة فيجعة الجوار مانعة من عشرة الاحرار . ومن كلامه : شربت
من الخطب رياً ولم اضبط لها رويًا ففاضت ثم فاضت فلا هي نظاما وليس غيرها كلاماً .
وما يروى عنه وهو ما يدل على رأيه في الانشاء انه قال لبعض الكتاب : اياك والتبعية
لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر . وقال لا آخر : عليك بما
سهل من الالفاظ مع تجنب الالفاظ السفلة . وقيل له ما البلاغة فقال : التي اذا سمعها الجاهل
ظن انه يحسن مثلها .

وفي البيان والتبيين عن اسحق بن حسان بن فوهة انه قال : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع
احد قط . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة . فمنها ما يكون

في السكوت . ومنها ما يكون في الاستماع . ومنها ما يكون في الإشارة . ومنها ما يكون في الحديث . ومنها ما يكون في الاحتجاج . ومنها ما يكون جواباً . ومنها ما يكون ابتداءً . ومنها ما يكون شراً . ومنها ما يكون سجعاً وخطبياً . ومنها ما يكون رسائل . فعمامة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة .

فاما الخطب بين السماطين وفي اصلاح ذات البين فالاكثر في غير خطل والاطالة في غير املال . قال : وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خير ايات الشعرا البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته . كأنه يقول فترق بين صدر خطبة التكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواكب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لاخير في كلام لا يدل على معنائه ولا يشير الى مغزائه . والى العمود الذي اليه قصدت والغرض الذي اليه نزعته .

قال فليله : فان ملء المستمع الاطالة التي ذكرت انها حتى ذلك الموقف قال : اذا اعطيت كل مقام حقه وقت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فانك من رضا الحاسد والعدو فانهما لا يرضيهما شيء . واما الجاهل فليست منه وليس منك ورضا جميع الناس شيء . لانه وقد كان يقال رضا الناس شيء لا يقال . وقال عبد العظيم بن أبي الام صبح في تحوير التعبير في البديع في باب التهذيب والتأديب : قد كان المتقدمون لا يحتفلون بالسجع جملة ولا يقصدونه بته الا ما انتبه به الفصاحة في اثناء الكلام وانفق من غير سد ولا اكتساب وان كانت كلماتهم متوازنة والفاظهم مناسبة ومعانيهم ناصعة وعباراتهم راقية وفصولهم متقابلة وتلك طريقة الامام علي عليه السلام ومن اتقن اثره من فوسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هرون وابي عثمان الجاحظ وغير هؤلاء من الفصحاء والبلاغاء . وقال الامين المجي فيما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه : بشيئة ابن المقفع - يضرب بها المثل لبلاغتها وبراعة منشئها وهي رسالة في نهاية الحسن تتخلل على محاسن من الادب وقد ذكرها ابو تمام واجراها مثلاً في قوله لعن ابن وهب

ولقد شهدتك والكلام لا شيء
نؤم فبكر في الكلام وثيب
فكأن قساً في عكاز يخطب
وكان ليلي الأخيالية تُندب
وكثير عزة يوم بين ينسب
وابن المقفع في البيتمة يسهب

وقال جلال الدين في المزهرة نقلاً عن ابني الطيب عبد الواحد اللغوي في مراتب النحويين قال محمد بن سلام : سمعت مشايخنا يقولون لم يكن للعرب بعد الصحابة اذكي من الخليل بن احمد ولا اجمع ولا كان في العجم اذكي من ابن المقفع ولا اجمع

وقال المعري في عبث الوليد : كان المتقدمون من اهل العلم ينكرون ادخال الالف واللام على كل وبعض روى الاصمعي انه قال كلاماً معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحناً الا في موضع واحد وهو قوله : العلم اكبر من ان يحاط بكله نغذوا البعض وروي ان بعضهم ذكر ابن المقفع فقال : الفاظه معان ومعانيه حكم فصل خطابه شفاً وخصل بيانه كفاً . وسمع ابو العيناء بعض كلام ابن المقفع فقال : كلامه صريح ولسانه فصيح وطبعه صحيح كان بيانه لؤلؤة منشور وروض مطور . وقال جعفر بن يحيى : عبد الحميد اصل وسهل بن هارون روع وابن المقفع ثمر واحمد بن يوسف زهر .

وعبد الحميد هذا هو الذي يضرب به المثل في البلاغة حتى قيل فُتحت الرسائل بعبد الحميد وخُفَّت بابن العميد . وكان احمد بن يوسف يقول في رسائل عبد الحميد الفاظ محكمة وتجارب محكمة . قال صاحب الوفيات وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب اماماً وهو من اهل الشام وكان اولاً معلم صببية ينتقل في البلدان وعنه اخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولا تاره اقتفوا وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ومجموع رسائله مقدار الف ورقة وقال ابن نباتة : انه البالغ الى اعلى المراتب في الكتابة البليغة يقال انه كان في اول عمره معلم صبيان بالكوفة ثم اتصل بمرwan الجعدي قبل ان يصل الى الخلافة وصحبه وانقطع اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد اصحابه الا عبد الحميد فقال له مروان : لم لا تسجدت فقال : ولم اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة فقال : اذا نظير معي قال : الآن طالب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته .

وهو اول من اخذ التعميدات من فصول الكتب واستعمل في بعض كتبه الایجاز البليغ وفي بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال . فمن الایجاز ان بعض عمال مروان اهدى اليه عبداً اسود فأمره بالاجابة دأماً مختصراً فكتب : « لو وجدت لوناً شراً من السواد وعدد أقل من الواحد لاهدبته » . واما الاسهاب فانه لما ظهر ابو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتاباً يستميله ويغمنه الموقري ، لا وقع الاختلاف بين اصحاب ابي مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على حمل ثم قال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره فان بك ذلك والا فاهلاك فلما ورد الكتاب على ابي مسلم لم يقرأه وامر بنار فاحرقه وكتب على جزازة منه الى مروان

محا السيف اسطار البلاغة وانتهى عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما اشتد الطلب على مروان ولتأبعت هزائمه المشهورة قال لعبد الحميد : القوم محتاجون

اليك لادبك وان اعجابهم بك بدعوم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم واظهر الغدر في
فلعلك تنفعني في حياتي او بعد مماتي فقال عبد الحميد

أسر وفاء ثم اظهر غدره فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا امير المؤمنين ان الذي امرتني به انفع الامرين اليك واقبهما بي ولكني
اصبر حتى يفتح الله عليك او اقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد فعمز عليه بالجزيرة
عند ابن المقفع وكان صديقه وفاجأها الطلب ومها في بيت فقال الذين دخلوا : ايكم عبد الحميد
فقال كل واحد منهما : انا خوفا على صاحبه الى ان عرف عبد الحميد فاخذ وسلمه السفاح الى
عبد الجبار صاحب شرطته فكان يحمي له طشتا ويضعه على رأسه الى ان مات سنة اثنتين
وثلاثين ومائة وقيل انه قتل مع مروان في مصر قال المسعودي انه رأى له عقباً بفسطاط مصر
يعرفون ببني مهاجر وقد كان منهم عدة يكتبون لال طولون . وكان ابو جعفر انصور يقول :
غلبنا بنو أمية ثلاثة اشياء بالحجاج وعبد الحميد والمؤذن البعلبكي . وقيل لعبد الحميد : ما الذي
مكنك من البلاغة قال : حفظ كلام الاصلع يعني امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه . وقيل له ايما احب اليك اخوك ام صديقك قال : انما احب اخي اذا كان صديقي . وقال
اكرموا الكتاب فان الله تعالى اجرى الارزاق على ايديهم . وقال : القلم شجرة ثمرتها
الالفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه خير الكلام ما كان لفظه فخلاً ومعناه بكرة
قال صاحب وفيات الاعيان وكان كثيراً ما ينشد :

اذا خرج الكتاب كانت دُويهم قسيماً واقلام الدوي لها نبسلا

ومما نقله عنه انه سافر يوماً مروان بن محمد على دابة قد طالت مدتها في ملكه فقال له
مروان : قد طالت صحبة هذه الدابة لك فقال : يا امير المؤمنين ان من بركة الدابة طول
صحبتها وقلة علفها فقال له : فكيف سيرها فقال : همها امامها وسوطها عنانها وما ضربت قط الا ظلاً
ولعبد الحميد كصديقه وضربه عبد الله بن المقفع شعر نادر فنه

كني حزناً في ارى من احبه قريباً ولا غير العيون ترجم

فاقم لو ابصر لنا حين نلتقي ونحرف سكوت خلطنا نلتكا

هذا ما وصلنا من اخبار هذين الامامين ونحن نعلم ان ترجمتهما على ما اثبتناها هنا
ليست مستوفاة من عامة وجوهها ولكن تلاوة كلامهما احسن مترجم عنهما اذ كلام المرء قطعة من عقله .

رسالة عبد الحميد الى الكتاب (١)

اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملائكة المكرمين اصنافاً (٢) وان كانوا في الحقيقة سواءً وصرفهم في صنوف الصناعات وشرروب المحاولات الى اسباب معاشهم (٣) وابواب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والروايات (٤) والعلم والزينة بكم لتنظم للخلافة محاسنها وتسقيم امورها وبصانعتكم يصلح الله للخلق سلاطينهم ويعمر بلدانهم (٥) لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كافر الا منكم فموقعكم من الملوك موقع اسماعيل التي بها يستمعون وابصارهم التي بها يمشرون والسننهم التي بها ينطقون وايديهم التي بها يبطشون فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما اضافه من النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المحموده وخصال الفضل المذكورة الممدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم . فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يشق به في مهمات اموره ان يكون مليحاً في موضع الحلم فليحاً (٦) في موضع الحكم (٧) مقداماً في موضع الاقدام معجماً (٨) في موضع الاحجام مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف كتوماً للاسرار وفيما عند الشدائد عالماً بما يأتي من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في اماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم (٩) يحكمه اخذ منه بقدر (١٠) من الحسن واحتال على صرفه (١١) عما يهواه من القبح (١٢) بالطف حيلة واجمل وسية وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت جموحاً (١٣) لم يهجمها اذا ركبها وان كانت شبيوباً انقلعها من بين ايديها (١٤) وان خاف منها شروداً توفها من ناحية رأسها وان كانت حروناً وقع يرفق هواها في طرفها فان استمرت عنفها يسيراً فيسلس له قيادها . وفي هذا الوصف من السياسة دلائل (١٥) لمن ساس الناس وعالمهم وجريهم (١٦) وداخلهم والكتاب بفضل (١٧) ادبه وشريف صنعتته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره

(١) عارضنا هذه الرسالة التي اخذناها عن مقدمة ابن خلدون المطبوعة على نسختين مخطوطين من المقدمة احدها في مكتبة احمد زكي بك والثانية في خزانة كتب احمد تيمور بك (٢) نسخة : اضافاً (٣) خ في معاشهم (٤) خ المروءة (٥) خ بلادهم (٦) خ فهماً (٧) خ الفهم (٨) خ محجماً (٩) خ فان لم (١٠) خ مقدار (١١) خ لصفه (١٢) خ من القبح (١٣) خ رموحاً (١٤) خ من قبل يديها (١٥) خ دليل (١٦) خ وخدمهم (١٧) خ لفضل

من الناس ويناضره ويفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته وثقوب اوده من سائس البهيمة التي لا تحجر جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها .

الا فارقوا رحمكم الله في النظر واعملوا فيه ما امكنكم من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحت قوه النبوة والاستئصال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيرون منه الى الموافقة والتفقة ان شاء الله تعالى .

ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلده وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون امره قدر حته فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظه لا تحسد منكم افعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلها ولا سيما الكتاب وارباب الآداب . وللاور اشياء وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤلف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة واصدقها حجة واحمدها عاقبة . واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن اتقان علمه ورويته فيقصد الرجل منكم في مجلده قصد الكافي من منطته وليوجز في ابتدائه وجواه وليأخذ بجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل (١) عن اكاثره . وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداه بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضرب يده وعقله وادبه فانه ان غان منكم ظان او قال فائل ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بظنه (٢) او مقالته (٣) الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف . ولا يقول احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لعبه ما يكتفي به يعرف بغيره عقله وحسن ادبه بفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعده لكل امر عدته وعتاده وبهي لكل وجه هيئته وعادته . فتنافسوا بامعشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وابدوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها انقاف السننكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيتها ودينها وسفاسف الامور ومخافها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب

(١) خ للشاغل (٢) خ بحسن ظنه (٣) خ فعالة

ونزهوا صناعتكم عن الدناءة (١) وارباؤا بانفسكم عن السعاية والسعيمة وما فيه اصل الجهالات
واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل
في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو البقى لاهل (٢) الفضل والعدل والتبيل من سلفكم وان
نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويشوب اليه امره وان اعد
احدا (٣) منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظفروا بفضل
تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنه واستظفر به ليوم حاجته اليه احوط
منه على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها (٤) الا الى صاحبه وان
عرضت مذمة فليعملها هو من دونه وليحذر السقطعة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب
اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى الفراء وهو لكم افسد منه لها . فقد علمتم ان الرجل منكم
اذا صحبه من يبدل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يعتقد له من
وفائه وشكره واحتماله وخيره (٥) ونصيحته وكتان سره وتدبير امره ما هو جزاء لحقه
ويصدق (٦) ذلك تبعاً له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه . فاستشعروا ذلك
وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدّة والحُرمان والمؤاساة والاحسان والسرّاء والضراء
فتمت التسمية هذه من (٧) وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة . واذا ولي الرجل منكم
او صير اليه من امر خلق الله وعياله امر فليراقب (٨) الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن
على الضعيف رقيقاً وللمظلوم منصفاً فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفعهم بعياله .
ثم ليكن بالعدل حاكماً وللأشراف مكرماً وللقيّة موقراً وللبلاد عامراً وللرعية مثاقفاً
وعن اذام مختلفاً وليكن في مجلته متواضعاً حليماً وفي مجالات خراجهِ واستنقضاء (٩) حقوقه
رقيقاً واذا صحب احدكم رجلاً فليختبر خلّاقته فاذا عرف حسنّها ونبيها اغانه على ما يوافقه
التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته . فان اعقل الرجلين عند ذوي الالباب
من رعى بالعجب وراء ظهره ورأى ان صاحبه اعقل منه واجمل (١٠) في طريقته . وعلى كل
واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه
ولا بكتائر (١١) على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيرته .

وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزّه والتحدث بنعمته . وانا
اقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل . وهو جوهر هذا الكتاب

- (١) خ الدناءة (٢) خ باهل (٣) خ احدكم الكبر (٤) خ يصفها (٥) خ وصبره
(٦) خ ويقصد ذلك بفعاله (٧) خ لمن (٨) خ فليراقب ربه (٩) خ استنقضاء (١٠) خ احمد
(١١) خ ولا تكثّر على

وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتمت به . تولانا الله واياكم بامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاذه وارشاده فان ذلك اليه ويده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

العامية من الفصحى

كثير بحث الباحثين هذه الايام في المقارنة بين اللغة الفصحى واللغة العامية وقد ظفروا بكتاب (١) اسمه القول المقتضب فيما وافق لغة اهل مصر من لغة العرب تأليف الشيخ محمد ابن ابي السرور الصديقي من اهل القرن الحادي عشر قال مؤلفه في مقدمته : وبعد فاني لما طالعت كتاب رفع الاصر عن كلام اهل مصر للعلامة الكامل شيخ اهل الادب الراقية الى اعلى الرتب الشيخ يوسف المغربي رأيته اتى فيه بالعجب العجيب غير انه اسهب فيه غاية الاسهاب باستطراده (الى) بعض الالفاظ اللغوية التي ليست من شرط الكتاب مع ذكره اشعاراً وحكايات من قسم الاستطراد لا معنى لها في هذا التصنيف ولا مدخل لذكرها في هذا التأليف فخطر لي ان اخلص من محاسنه والنقط درة من مكانه ولم اذكر فيه من اللغة الا ماله اصل في اللغة العربية الناطق بها اهل الديار المصرية مرتباً ذلك على ترتيب القاموس كاصله وسميته القول المقتضب فيما وافق لغة اهل مصر من لغة العرب . والكتاب مرتب على حروف المعجم وهو في بضعة كراريس وهالك نموذجاً منه نقلناه وبعضه لا يحلو مما ينتقد يقولون اومى قال في المجرد لا يقال اومى وانما يقال اوماً اي اشار اليه (قلنا ويقول العامة في الشام فلان كلم فلاناً بالومى اي بالاشارة) . ويقولون لقاصد الفلعة بابا وفي اللغة العربية بابا الرجل اذا اسرع فيمكن ان يكون البابا منه لانه يسرع اقتضاء الحاجة . ويقولون للولد الصغير اذا اراد المشي تانا قال في القاموس تانا الطفل مشى والتجتر في الحرب . ويقولون عند سقي القهوة جبا وهي قرية باليمن يصير فيها البن الصبري وهو عجيب في الحسن فكان الساقى اذا قال جبا اي هذه قهوة بن جبا . ويقولون في سوق الحمار حاحا قال في القاموس حاحا اذا دعي الحمار للشرب واهل مصر تقول ذلك له اذا ارادوا مشيه وتصحيقه جأ جأ (؟) قال في القاموس معناه حمار وثاب . ويقولون لا نكأ كاد اي لا نتأخر عن السير . ويقولون هاها بالابل اي زجرها عند ورودها

الماء وهأها، رجل ضحاك . ويقولون ياماعمل له اصل في اللغة وهو من باب التعجب .
 ويقولون الاب والاخ مثلاً فيشددون الباء وليس هو خطأ بل له اصل في لغات العرب .
 ويقولون بيه قال المجدي هو حكاية صوت الصبي والشاب المتليّ لحماً وصفة الاحمق .
 ويقولون حوبة قال المجدي ومعناه الضعيف عن الشيء والحوبة البعث والاخت ورقفة فواد
 الام والمم والحاجة والمرأة والسرية كل ذلك يقال له حوبة . ويقولون دُرابة وهو كناية
 على احد الواح الدكان وله اصل في اللغة كذا نقله صاحب كتاب المجرد في اللغة . ويقولون
 رَجَبَ المرجب اي المعظم وهو صحيح . ويقولون سبب قال بعض ائمة اللغة اي باع واشترى
 في الشيء . ويقولون شقلبه اي غيره من حال الى آخر . ويقولون طبطب قال في القاموس
 الطبطبة صوت الماء وصوت نلاطم اليل وطبطب صوت . ويقولون طاب وهو اسم لما
 يلعبون به واسم الكرة ايضاً ويقولون عرقب في حق الدابة اذا قطع عرقوبها وله اصل في
 اللغة . ويقولون علب قال في القاموس العلبة بالكسر آنية من الشجر غليظة يتخذ منها وعاء
 للشيء فائدة: العلبة بالضم الفخلة الطويلة وقدح فخم من جلود الابل او من خشب يحلب فيها .
 ويقولون قب جلدي منه اذا افسح وله اصل في كتب اللغة . ويقولون قطب له المزين وهو
 في صحيح كتب اللغة يقال قطب الشيء قطعه ثم جمعه وقطب فلان اي غضب . ويقولون
 المنزل عن الناس قطرب وهو صحيح لانه جنس من الامراض السوداء وصاحبه يحب الانفراد
 من الناس وله معان كلها تبيح وهو بالضم اللس والفأرة والذئب الامعط والجاهل والجبان
 والسفيه والمصروع وصغار الكلاب وطائر ودوية لا تستريح نهاراً سعيّاً . ويقولون فلان
 اكرّب علينا قال في القاموس اي امرنا بالسرعة . ويقولون كركبه قال المجدي معناه الحركة
 ويقولون نت قال المجدي معناه اقعده وهو صحيح ورد في بعض كتب اللغة . ويقولون
 شربته حته معناه حتى اكتشبت فله معنى في كتب اللغة واخذت الجواد من الخيل والسريع
 من الابل وما يلتزق من التمر والميت من الجراد كل ذلك معنى حته . ويقولون الشيت وهو
 من الائمة قال المجدي والشيت نوع من الائمة الهندية . ويقولون فلان يشخت مرادهم
 بنهر من شدة غيظه وهو صحيح . ويقولون غت عليّ بمعنى ادخل عليّ سوءاً وهو صحيح
 وارد في كتب اللغة . ويقولون للملاح النواقي قال في الزاهر النواقي الملاحون بالبحر الواحد
 نواقي . ويقولون هت عليّ وهو صحيح في كتب اللغة معناه امرغ في الكلام او سرد كلامه .
 ويقولون فلان هفت من الجوع اي سقط ومنه تهاوت الزراش في الثيلة اي نساقت عليها
 فكانه لكثرة جوعه يسقط كذا نقله بعض ائمة اللغة . ويقولون ميت علينا اي خوفنا وهو

صحيح ورد في بعض كتب اللغة هيت به صاح به ودعاه وهيت قرية بالعراق تنسب اليها الخمرة العايبة ومنه قول ابي نواس

هات اسقي قهوة صفراء صافية منسوبة لقري هيت وعائات

ويقولون على لون من الطعام عجة قال بعض ائمة اللغة العجة بالضم طعام من البيض .
ويقولون لآلة الدراس نورج وهو صحيح لغوي ويقال ذلك ايضاً لآلة الحرث والنورجة
والنيرجة الاختلاف اقبالاً وادباراً والنيرج التمام . ويقولون اذا ألقى انسان على وجهه بعله
وهو صحيح لغوي ويراد منه ايضاً الضرب والغيبوبة عند ذلك . ويقولون طرحة قال سبط
القاموس الطرحة الطيلسان واما لفظ طراحة فليس له اصل في اللغة . ويقولون بريح لشيء
الذي توضع عليه الجرة وهو صحيح لغوي وهو ايضاً اسم لجري الماء والبالونة يقال لها بريح
قال ذلك في القاموس . ويقولون في المريض صار مثل الفخ والفتح المعيدة وهو مثل القوس
وهو لين فشبه به المريض اي صار مثل القوس اللينة . ويقولون للاطفال بمعنى الزجرك
نقل حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاحياء ان الامام الحسين عليه السلام اخذ قمره من
تمر الصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كح فرس بها من فيه . ويقول زرد عليه اذا خنته
وهو صحيح وارد في كتب اللغة . ويقولون زرد القمعة اذا ابتلعها وزرد كنصر خنته والزرد
الدرع . ويقولون فلان سرد اذا حصل له النعاس قال في الاثر السرد يطلق على النعاس
في بعض الاحيان . ويقولون همر علينا اذا وثب وصاح وهو صحيح لغوي . ويقولون فلان
واكر عند فلان اذا كان ملازماً له وهو صحيح لغوي مأخوذ من وكر الطائر اتخذ له وكرًا
وكذلك هذا الرجل اتخذ صاحبه مثل وكر الطائر في الملازمة . ويقولون راز الشيء ويروزه
يعرف قدره وله اصل في اللغة راز الشيء روزه جربه ليعرف قدره والراز رئيس البنائين .
ويقولون اكثنا عند فلان بيسة قال في القاموس البيسة اتخاذ السويق او الدقيق او
الاقط بالسمين والزيت . ويقولون فلان دحس قال المجدي الدحس هو الذي يخفي الاشياء
مكرًا وقال في القاموس الدحس اندساس شيء في التراب . ويقولون فلان عنده تترسة اي شدة
قال في القاموس التترسة الاخذ بالشدة والجفاء والعنف والغلظة . ويقولون ناموسية لشيء
يعمل من التماس يدخلون فيه في زمن الشتاء وهو صحيح لغوي والناموس عريسة الامة والناموس
جبريل عليه السلام . ويقولون فلان هلس وهو صحيح لغوي ومعناه اذا تكلم كلاماً غير منتظم ويطلق
على سلب العقل وعلى الهزال . ويقولون فلان خر بشني ياظفاره اي آذاني بها وهو صحيح قال في مختصر
الصالح الخريشة والخريشة والخريشة كلها بمعنى واحد . ويقولون طواشي على الحصى وهو صحيح لغوي
وارد في بعض كتب اللغة والذي في القاموس الطوش خفة العقل . ويقولون فمش وهو صحيح لغوي

يقال عفشه يعفشه جمعه ومن الناس من لاخبر فيهم . ويقولون نتش وهو صحيح لغوي قال في الزاهر
 التش كالضرب استفراج الشوكه ونحوها ونشت اليوم كذا وكذا اي اكتسبت . ويقولون فلان
 بصص اي نظرت الي نظراً بعد نظره وهو صحيح لغوي قال في الزاهر البصاصة العين لانها تبص
 وبصص الكلب حرك ذنبه والجرو فمخ عينيه . ويقولون فلان ممصوص قال في القاموس المعصوص
 الرجل الممزول والمعصوصة المرأة الممزولة . ويقولون ساباط قال في مختصر الصحاح الساباط سقيفة بين
 حائطين تحتها طريق والجمع سوابط وساباطا وفي لغة الشام الآن سباط وبلعة مصر سباط .
 ويقولون فوط قال في القاموس الفوط شي يجلب من بلاد الهند وهي مآزر مخططة فصار يطلق على
 غيرها مجازاً . ويقولون فلان فطاطي قال بعض ائمة اللغة هو الاغوج القليل الثبات او الذي يتكلم
 بكلام لا يفهم . ويقولون فلان عنده دلاعة قال في القاموس الدلاعة الغاية في الحق والغفلة والتصاغر
 وخروج اللسان . ويقولون اخضر مرعرج قال في الزاهر المرعرج الكامل الحسن في الاعتدال والمرعجة
 اضطراب الماء الصافي على وجه الارض وترعرج تحرك وانثأورعرج الله انبته . ويقولون فلان منمنع
 اي عنده عدم في قوته قال في القاموس النمنعة ضعف العزم بعد قوة والرقة في اللسان والنعناع تبت
 معروف . ويقولون وكثيراً ما يقع من الاروام غوغا قال بعض ائمة اللغة الغوغا الشر والحرب والغوغا
 الجراد وشي يشبه البومض لضعفه وبه سمي الغوغا من الناس . ويقولون فلان مممع في كلامه اذا لم
 يبينه قال في القاموس مممع التعم مضعه ولم يبلغ وكلامه لم يبينه . ويقولون فلان شلاف قال المبردي
 الشلاف هو الذي ياخذ الشئ من غير حساب . ويقولون شاف الشئ اي نظره قال في القاموس
 شاف الشئ اي نظره وشفته شوقا جلوته ودينار مشوف مجلول . ويقولون فلان نتيف واعطافي نتفة
 وكلاهما صحيح لغوي الا انهم يحرفونها فيكسرون التون والصحيح الضم قال بعض ائمة اللغة نتف
 ماتنتفه باصبمك من شعرا وبت والتنتفة الشئ اليسير . ويقولون شقة قماش قال في القاموس
 الشقة من اثياب المستعيلة . ويقولون عفقه قال في الجرد عفقه بمعنى امسكه ويقولون عفلق قال في
 مختصر الصحاح العفلق الرجل الطويل المسترخي والعفلق الضخم المسترخي والمرأة الحرة السينة
 العمل والمطلى والرجل الاحمق . ويقولون فلان رنجي علي فلي ديلة قال في مختصر الصحاح الدبل
 الطاعون ويطلق على الداهية وعلى الجمل الصغير . ويقولون فلان زول قال في الجرد الزول الهيبة
 العظيمة والزول العجب والجواد والكل والخفيف الظريف الفطن . ويقولون حزام قال في الجرد
 الحزام ما يشده الوسط . ويقولون طارمة قال في مختصر الصحاح الطارمة بيت من خشب والغالب
 ان يكون ذلك في المراكب وحارة بمصر يقال لها اصطليل الطارمة اي الاصطليل الذي فيه
 بيت من الخشب . هذا غيبض من فيض اوردها على سبيل المثال فعسى ان يبادر القارئون
 بخدمة اللغة العربية الى نشر هذا الكتاب بالطبع .

الكتاب

إذا بلغت الحضارة أوجها في أمة يتفنن أهل العلم في التأليف المفيد فيضعون المصنفات في الموضوعات التي لا تخطر على بال أحد في مجتمع غير راق . ومن كان يظن أن أبا عمرو بن عمر الجاحظ البصري يؤلف كتاباً في مدح الكتب والحث على جمعها (١) عدا ما وقع له من ذكرها مرات في كتبه قبل زهاء ألف سنة ولكن ما كتبه الجاحظ في تلك الأزمان يكتبه مؤلف هذه الأيام ببيان أشق ومادة أوسع لارتقاء هذه العصور باختراع الطباعة التي عمت بها المطبوعات وسهل بها التأليف والنشر ولا سيما على من كان مثل مؤلف «الكتاب» الذي صدر هذا الشهر في خمس مجلدات للسيو البرسيم قيمة مكتبة نظارة البريد والبرق في باريس

قسم كتابه الى أقسام فتكلم على حب الكتب والمطالعة والكتب في الأزمان السالفة والقرون الوسطى منذ اختراع الطباعة الى عصرنا هذا وتميز بعض المؤلفين على بعض وما يجب أن يطالع من الكتب وكيف يجب أن يطالع أو يتصفح وتؤخذ مفكرات بالخط على بعض الكتب وهل ينبغي الاستكثار من الكتب أو الاقلال منها وكيف نختار الكتب وهل يجب الاكثار من المطالعة أو الاكثار من إعادة المطالعة . وتكلم على الكتب المزينة والكتب البسيطة . والتقدمة والحديثة والاستشفاء بالكتب وتاريخ الكتب وذكر الروايات والصحف وتكلم على المجانين بالكتب (٢) Bibliomanes والهاثمين بالكتب Bibliolâtres وممزي الكتب Biblioclastes وأعداء الكتب Bibliophobes

(١) انة بس ٣ - ٥٦١ - ٦٠١

(٢) المقتبس ١ - ٨٥

وعد النساء من أعداء الكتب وإطال في إغارة الكتب وفي ورقها وقطعها وطبعها
وتصويرها وتجليدها وإتباعها وترتيبها في قاطرها والعناية بفهرستها وتنسيقها وكيفية
استعمالها وحفظها وطبعها واختصارها

هذه أهم ما تدور عليه أبحاث هذه المجلدات الخمسة الممتعة ويرى مؤلفها
أن لا يقتصر في الكتاب على الباسه لباس الظرف وحفظه في الزجاج والنظر
إليه باعجاب وانعطاف بل أنه خلق ليقراً ويتدبر مافيه ويتلذذ به قال : فانا
أأخذ بمثابة أداة للدرس والتسلية والتعزية وقررة عين بل هو واسطة للكمال
العقلي والادبي فانا من ثم لأفصل بين محبة الكتب ومحبة الآداب بحال وأن
شئت فقل بين محبة الجمال والخير والعدل والحق فبين هذه الأمور تشابه

وقد اعتذر المؤلف عن أن معظم كتابه ليس من قلمه بل هو عبارة عن
استشهاد بأقوال أئمة العلم والادب في كل عصر ومصر وذلك لأن الاستشهاد
بكلام الرجل بعينه يصوره كما هو وله من الوقع في النفس أكثر من
المطالع على الرجوع إلى ما كتبه المؤلف كما قال سانت بوف العالم . وقال
شاتوبريان الفرنسي الكاتب : لا يجب الاعتقاد بأن معرفة إيراد الشواهد
هو مما يسمع كل أحد من أرباب العقول الضعيفة أن يفعله ممن فرغ وطابهم
من كل علم فيستقون من موارد غيرهم ما راقهم وما الاستشهاد حيث يجب ألا
دليل العلم . فالذاكرة التي تدخر الشواهد لحين الحاجة هي في الحقيقة قرينة
الذكاء بل هي أم الذكاء وجوده الذهن . وقد غذى كبار كتّاء عصر لويس الرابع
عشر عقولهم بالشواهد وكان شيشرون الخطيب الروماني الذي لم تكن له إلا
لهجة واحدة يلهم بها ويتوفر عليها بكثير من الاستشهاد أولاً أيضاً (شاتوبريان)
لا أقصر في هذا السبيل

ولذا سار مؤلفنا في مصنفه الجليل على هذه الطريقة شأن معظم الكتاب الذين لا يكتبون الا بصحيح الاسناد وairad الشواهد والشوارد فيقرأ القاريء فيه من أسماء الكتب المؤلفة بالافرنجية في هذا المبحث مايدل على ان الغربيين اليوم سابقون في كل محمودة ويسجل بما بذله بنفسه من الدرس والبحث حتى جاء كتابه آخذا من كل شجرة ثمرة ومن كل حديقة زهرة

قال في تاريخ الكتب انه لم يعرف في الحقيقة الا منذ ثلاثة آلاف سنة وان قال أحد علماء الالمان بوجود الكتب قبل الطوفان ووضع لذلك مصنفا. فتاريخ الكتب يرد الى عهد ملك مصر اوسيماندياس الذي يرى علماء الآثار المصرية اليوم انه هو رعمسيس الثاني أو سزوستريس وكان له خزانة كتب جعلها في قصره في ثيبة كما قال المؤرخ ديودور الصقلي وقد حكم هذا بوجودها من أثر كان مزبورا على الحجر في أعلى باب هذه المكتبة وهو قوله « هنا أدوية النفس » فوصف بذلك الكتب أجمل وصف وأجزه عرف ولا يثنأ أن يقال أحسن منه . ومضت على هذا الوصف الازمان حتى جاء الفيلسوف موتسكيو في القرن الثامن عشر فقال : ما قط حزنت الا وتبدد حزني بساعة من المطالعة أرواح بها عن نفسي ثم جاء بعده القصصي الانكليزي بولورليون في القرن التاسع عشر ووصف مطالعة بعض المصنفات لشفاء بعض الامراض فرأى المداواة بالكتب كأنها بعض العقاقير والعناصر . وكل من قال كلمة في هذا الباب لم يخرج في وصفه للاسفار عن حد الحكمة التي علقها ملك مصر على مكتبته أو شرحها والمبالغة فيها . وأسس العالم بينيستر (٥٦١-٥٢٧ ق.م) مكتبة عامة في أثينة وهي أول مكتبة من نوعها جمع فيها أشعار هوميروس ولم تكن تعيها من قبل الا ذاكرة القصاصين والمتشاعرين . ويؤخذ من بيت

للشاعر اريستوفان (قبل المسيح بخمسة قرون) أن الكتب كانت منتشرة جدا في زمنه بمدينة آثينة . وقال كسينوفون في تذكرة سقراط شيئا عن الكتب والمجاميع ومجارتها

واسعمل السبيادس على نحو ذلك الزمن (٤٥٠ - ٤٠٤ ق . م) طريقة لا تخلو من قلة ذوق ليحب أبناء وطنه في الكتب فدخل مدرسة خاصة بدراسة النحو وسأل المعلم أن يأتيه ببعض كتب هوميروس فاجابه ان ليس عنده ولا واحد منها فصنعه وخرج . وكان الاسكندر الكبير (٣٥٦ - ٣٢٥ ق . م) مولعا من وراء الغاية بدرس اشعار هوميروس وبعد ان هزم دارا ملك الفرس وقع اليه سقط كان بين اسلاب المغلوبين فسأل خاصته ماذا ينبغي ان يجعل فيه من مال أو متاع فاختلف آراؤهم أما هو فقال لهم : انه يضع فيه اليادة هوميروس لتحفظ فيه حفظا جديرا بها . وكان الاسكندر أثناء رحلته الى آسيا أمر بأن تجلب له توار يخ فيليست وفاجعات اوربيدس وسوقلس واشيل وغيرهم ويحب اسناذه ارسطو كما يحب اباه لان هذا سبب حياته وذلك سبب سعادته . وأنشأ بطليموس سوتر أحد خلفاء الاسكندر الذي استأثر بملك مصر عند ما قسمت المملكة اليونانية مكتبة الاسكندرية وهي شهر واغنى مكتبة في الازمان السالفة وكان ذلك باشارة ديمتريوس دي فالير (٣٤٥ - ٢٨٣ ق . م) النحوي المؤرخ البياني حاكم آثينة الذي غدا اول قيم على هذه المكتبة وجري خلفاؤه من البطالسة على العناية بهذه المكتبة ولا سيما بطليموس الثاني قيلا دلفيس (٢٨٥ - ٢٤٧) و بطليموس الثالث افرجيتس . وكانوا ينشطون زراعة ورق البردي ليتوفر الورق لديهم ولا يستخدمون كثيرا من النساخ وربما لم يكونوا يستنكفون من السرقة لزيادة ما عندهم من الكتب كما فعل احدهم فاستعار من

مكتبة آئينة كتباً لشعرائهم وفلاسفتهم فاستندسخها ولم يرجع الاصل بل ارجع نسخاً ثانية منها وبطليموس الثاني فيلادلفس - لعله لقب بذلك امتيازاً به لانه قتل أخوته أولانه تزوج أخته - هو الذي أمر بترجمة كتب العبرانيين المقدسة الى الرومية بمعرفة سبعين من علماء بني اسرائيل وكانت ترجمتهم السبعينية من أهم حوادث التاريخ لانها سهلت السبيل الى انتشار اليهودية ومهدت للنصرانية

ولم تحرق مكتبة الاسكندرية التي قال بعضهم انه كان فيها نحو سبعمائة الف مجلد على يد الامام عمر (١) ولا بأمره كما جاء في بعض التقاليد فان هذه الدعوى من الاغلاط التاريخية العظيمة اذ لم يكن أثر لهذه المكتبة عند ما قمت العرب مدينة الاسكندرية سنة ٦٤٠ وعلى عهد البطالسة اصبح أمر المكتبة الى ضعف فقسمت شطرين جعل كل منهما في مكان مستقل فحرق القسم الاول قضاء وقدرا عند ما استولى يوليوس قيصر على الاسكندرية سنة ٤٧ قبل المسيح وذهب القسم الثاني وكان جعل في معبد سيرابيس على يد الاسقف تيوفيل بعد ذلك التاريخ بأربعمائة سنة عقيب الامر الصادر عن تيودوس بالقضاء على جميع المعابد الوثنية وجعل عاليها سافلها

ومن المكاتب الشهيرة في القديم مكتبة فرغامس « برغامه » في آسيا الصغرى أسسها اومينوس الثاني ابن اتال الاول قبل المسيح بمائتي سنة ويقول بلوتارك انه كان فيها مائتا الف مجلد بسيطة أهداها انطونيوس أحد حكام اليونان الى كلوبطرة ملكة مصر من نسل البطالسة . وقد نقل كثير من الكتب من مكاتب آئينة والشرق الى ايطاليا وكانت المكاتب عند الرومان

تبنى بالقرب من معابدهم وأول مكتبة أنشئت في رومية على يد ازينوس بولانيوس. واطالما تنافس ملوكهم في الاكثار منها وفيهم من جعلوا خزان الكتب العامة في قصورهم. تساوى في الغلو بحب الكتب عالمهم وجاهلهم وعادتهم وظالمهم وتكلم على الكتب على عهد البرابرة والهونس والغوط والغوط الغربيين والفنداليين وعلى غلاتهم من الافرنج في القرون المتأخرة (١) وأجاد ما شاء وشاء بيانه في اختيار المصنفات وانتقاء الاجود منها فأتى على ذلك بشئ مما قاله أهل العلم والحكمة منذ الزمن القديم الى عهدنا هذا فقال ان توسيديد حضر مجلساً لهيرودس المؤرخ اليوناني يتلوفيه على بعض أهل آثينة شيئاً من تاريخه فاهتز وطرب ولم يمالك ان بكى وكان عمره خمس عشرة سنة وكان ديموستين يغالي في الولوج بتاريخ توسيديد نسخه بخطه الجميل ثمانى مرات ليرسخ الشاؤده في ذهنه ويطبع عليه. وكان الاسكندر الكبير مهوياً بالياذة هوميروس يصحبها معه حيث ذهب ويضعها تحت المخذة مع سلاحه عند ما ينام وكان شيشرون يرى ديموستين أخطب خطيب في كل ضرب من ضروب الخطابة ويعنى بما كتبه ارسطو وأفلاطون وتيوفراست كل العناية

وكان شارلمان (٧٤٢-٨١٤) ملك فرنسا مولعاً بتلاوة كتاب مدينة الله للقديس أوغسطينس كما ان الفريد الكبير ملك انكترا (٨٤٩-٩٠٠) يؤثر مطالعة قصص ازوب وترجمها شعرا الى اللغة السكسونية وكان يرى تيودور كازا النحوي اليوناني المشهور (١٣٩٨-١٤٧٨) ان كتب القدماء لو ألفت كلها في النار لاختار ان يخلص منها كتب بلوتارك. وجعل شارلمان (١٥٥٨-١٥٥٠) كتب توسيديد رفيقته في أعماله وكان يقرأه كرات كمين المؤرخ بولع شديد.

وكان كاتم السر فرنسيس باكون (١٥٦١-١٦٢٦) يقول ليست الكتب
 الا تكرارا فابحث في كتب اليونان والرومان والعرب وجميع مؤلفي القرون
 الحديثة فلا ترى فيها كلها شيئا يتعدى ما قاله الفلاسفة ارسطو وأفلاطون
 واقلیدس وبطلیموس. وكان ملتون الشاعر الانكليزي (١٦٠٨-١٦٧٤) الاغنى
 يقرأ في الصباح شيئا من التوراة بالعبرية ثم يدرس شعر هوميروس ويقال انه
 استظهره كله وعلم بناته الثلاث ثماني لغات يقرأن فيها عليه بدون ان يفهمها
 وكان يقول ان البنت تكفيها لغة واحدة ولكنه لم ير بدا من تعلمهن ليقرا
 له ما يحب

وكان كورنيل الشاعر الفرنسي (١٦١٦-١٦٨٤) يؤثر مطالعة تاسيت
 وتيت ليف المؤرخين اللاتينيين ويعنى عناية خاصة بلوكين الشاعر اللاتيني وسينيك
 الفيلسوف وسمع لافوتين الشاعر الفرنسي (١٦٢١-١٦٩٥) وهو في الثانية
 والعشرين نشيدا للشاعر مالرب فاخذه العجب باقوال هذا الشاعر ثم انصرف الى
 مطالعة هوراس وفرجيل وتيرانس وكنتيلين واختار من مؤلفي الفرنسيين رابلي ومارو
 ودورفي وفواتور وقرأ من الايطاليين اريوست وبوكاس وما كيا فيل وناس
 وشغفت العقيدة دي سيفنية الكاتبة الفرنسية (١٦٢٦-١٦٩٦) بمطالعة أدب
 نيكول ثم كورنيل وبوردالو. وكان الاخلاقي لابروير (١٦٦٩-١٦٩٦) يرى
 ان موسى وهوميروس وأفلاطون وفرجيل وهوراس لا يفوقون غيرهم من الكتاب
 والشعراء الا بمجودة تعابيرهم وتصوراتهم

وكان الشاعر راسين (١٦٣٩-١٦٩٩) استظهر وهو في السادسة عشرة
 أو السابعة عشرة اشعار سفوقلس وارييدس وقرأ أفلاطون وبلوتارك على
 الاصل اليوناني وكان وهو في المدرسة يقرأ رواية تيوجين وشاريكله لهليودور

اليوناني ففاجأه معلمه فتناول الكتاب من يده وألقاه في النار ثم اجتهد راسين ان يحصل على نسخة ثانية من هذه الرواية فعامله استاذُه بمثل ذلك ثم استحصل نسخة ثالثة واخذ يحفظها سرا ولما اتى عليها حمل النسخة الى معلمه وقال له :لك ان تحرق هذه كما حرقْتَ اختيها لاني لاجاجة بي اليها

وقال الكاتب الفرنسي سان أفرموند (١٦١٣ - ١٧٠٣) ان رواية دون كيشوت لسرفاتيس هي من المصنفات التي استطيع تلاوتها طول عمري دون أن امل ساعة وكنت أود أن أكون مؤلف دون كيشوت من بين جميع الكتب التي طالعناها ومن رأيي انه ليس من كتاب يساعد كثيرا على تحسين ذوقنا في كل الامور مثله. ويظهر ان كوفيدو من حذاق المؤلفين واني لا اعتبره زيادة لانه اراد أني يحرق جميع كتبه عندما قرأ دون كيشوت وكان يؤثر لولم يؤلفها قال ثم اني رأيت مما يلذني طول حياتي كتب موتنين وأشعار مالريب وفاجعات كورنيل ومصنفات فواتور

سئل الشاعر بوسويه (١٦٢٧ - ١٧٠٤) عن المصنفات التي يتمنى لو قدر له أن يؤلف مثلها فقال كتاب « رسائل الولايات لباسكال » وكان يؤثر شعر هوراس وكان بوالو (١٦٣٦ - ١٧١١) يجعل لشعر هوراس المقام الاول ثم لثيرانس ويفضل مشاهير القدماء على مشاهير المحدثين ما خلا باسكال فانه عده في مصاف العظماء وكانت مكتبة لاينز الفيلسوف الالماني (١٦٤٦ - ١٧١٦) عبارة عن مصنفات أفلاطون وارسطو وبلوتارك وسكتوس امبيريكوس واقليدس وارخميدس وبلين وشيشرون وسينيك وقد درس منذ نعومة أظفاره اللغات القديمة وآثر التوفر على الاخذ من الشعارين تيت ليف وفرجيل حتى انه كان في شيخوخته يسمعك ماقاله فرجيل بالحرف الواحد

وكان مونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥) جعل قراءة كتابات تاسيت هجيراً وقال من نفسه: اني لا اعترف ان ذوقي في القدماء وان الزمن القديم يبهجني وانا اقول ابداً ما قاله بلين انكم ياهولاء تذهبون الى آئنة فاحترموا الارباب . وكان يحتفل من وراء الغاية بكتاب تليماك كما يأنس بكتب اشيل واربيد وسوفلس وبلوتارك وارسطو وافلاطون وشيشرون وسويتون وفرجيل ويختار من المحدثين كريبليون وموتين ولاروشفوكولد ويعتقد ان أعظم الثمراء أفلاطون ومالبرنش وشافتر بوري وموتين

و كنت ترى على منضدة فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨) رواية اتالي لراسين وكتاب الصوم الصغير لماسيليون وقال الفيلسوف ديدرو الفرنسي (١٧١٣-١٧٨٤) في كلامه على القصصي الانكليزي ريشارسون ان مطالعة كتبك هي سلوتي في جميع أوقاتي فلو قضت على الضرورة أن أبيع كتبتي لأعلم ثمنها أولادي لاستثيتك منها وابقيتك لي أنت واسفار موسى وهوميروس واربيدس وسوفلس واتناوب قراءة تلك مرات . وكان العالم بوفون (١٧٠٧-١٧٨٨) يوصي بقراءة أعظم أرباب القرائع والعقول وقد حصرهم في خمسة وهم نيوتن وباكون ولايبنز ومونتسكيو وهو في جملتهم

وكان « كانت » الفيلسوف (١٧٢٤-١٨٠٤) يرى ان الارق اذا استولى على امرئ فليس لصاحبه الا أن يحصر فكره في موضوع واحد أما هو فكان يجلب النعاس الى عينيه بأن ي تصور شيشرون وحياته وكتاباته . وكان كييتي (١٧٤٩-١٨٣٤) يرى ان خير ما يقرأ ما خطته انامل مولير وفولتير وقال عن هذا انه صفوة امه كما ان لويس الرابع عشر صفوتها في السياسة وذلك لان الامرة اذا طال عليها العهد يتسلسل منها فرد يجمع جميع صفات اجداده

وكالاتهم وهكذا كان فواتير أعظم كاتب كانت بينه وبين امته مناسبة وهو أعظم
أديب على اختلاف العصور وأعجب مؤلف في الطبيعة
وسنحدث القراء بشيء من فوائد « الكتاب » بعد

مجامع الغرب

اشتقت لفظة المجمع التي هي تعريب « أكاديميا » الا فرنجية من أكاديموس
بطل آثينة فكانت الاكاديميا هناك عبارة عن بيت خاص أو ملعب محاط
بالاشجار حوى عدة محال لتقديس الارباب ومنها محراب لربة الشعر أنشأه
الفيلسوف أفلاطون فكان يتنزه تحت ظلال أشجاره مع تلاميذه ويذاكرهم
في المسائل العلية ولما هلك دفن في حديقة مجاورة لذلك المكان فتولى سبوزين
بعده أمر المجمع ثم توسع في معنى الاكاديميا فصار يطلق على فريق رجال الادب
والعلم وأرباب الفنون يجتمعون للبحث في موضوعات عامة نافعة

هكذا كان شأن مجمع البطالسة في الاسكندرية ومجمع الاسرائيليين ومجمع
الخلفاء العباسيين في بغداد والامويين في الاندلس ومجمع شارلمان والفرد الكبير
الفرنسيين . وكانت بعض هذه المجامع أشبه بمدارس منها بمجامع عليّة كما ترى
المجامع اليوم

نشأت في أوروبا خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر مجامع عليّة نظرية
مثل مجمع فلورنسا احدى مدن ايطاليا (١٢٧٠) ومجمع المناظرات البديعة في طولوز
من فرنسا (١٣٢٣) ولم يكن في ذينك المجمعين بغير الشعر لما ان الشعر والادب
هما أول ما تعانيه الامة وتحرص عليه ليكون سلماً الى سائر العلوم التي هي قوام
المجتمعات البشرية

أما الحركة التي أدت إلى أحداث المجامع الحالية في الغرب فيجتمع إليها خاصة أهل كل بلد وتنتظر في المكتشفات والمخترعات المهمة فتقر سائمتها وتنبذ سقيمها فتتجه إلى عهد النهضة التي نشأت من إيطاليا والنهضة إذا أطلقت في أوروبا يراد بها دخول الآداب في طورها الجديد والقيام على الصنائع والعلوم التي نشأت فيها في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر. ومما ساعد على أحيائها اكتشاف الطباعة واختراع النقش وهما الاختراعا اللذان عمما الآداب والصنائع

نشأت تلك الحركة من إيطاليا فكثرت فيها المجامع العلمية أي كثيرة فلم تكن فيها مدينة إلا وفيها مجمع واحد على الأقل وربما كان في المدن الكبرى عشرون مجعاً أو تزيد. ومن المجامع الإيطالية التي أشبهت المجمع العلمي الفرنسي الحالي مجمع كروسكا ولم يكتب البقاء لما عداه من المجامع العلمية الإيطالية التي نشأت في القرن السادس عشر والسابع عشر وقبلما كانت تلك المجامع تدوم بعد مؤسسها. وفي القرن السابع عشر حدثت فرنسا أخذت إيطاليا في مجامعها فكثرت فيها المجامع وحسنت حالها لأن الحكومة في فرنسا أخذت يدها فكانت نشأتها في بلاد عني فيها بأمرها. فأنشأ ريشليو الوزير الفرنسي للمجمع العلمي وأنشأ لويز الرابع عشر مجمع العلوم والآثار وفروعه التي نشأت منها مجمع القنون الجميلة

اختلف بعضهم في فوائد المجامع العلمية ومما قاله ريناث الفيلسوف الفرنسي «كثيراً ما يصف صوت العلم النافع ويتضاءل أمام هجمة المهاجمين وقحة الدجالين. وللعلم صوت متى سكن ضجيج تلك الظواهر يظل ذلك الصوت يسمع فلا يعود أحد يسمع غيره ومن أجل هذا ترى المجامع العلمية على كثرة

شكوى أهل الافكار المتحطة منها فائزة بفضل الغلبة لانها حارسة حسن الترتيب
الحقيقي وهي قليلة ولكنها مفهومة وليس لغير العقل سلطة تبقى « اه
كانت المجامع العلمية الفرنسية من أعظم المجامع التي نشأت في عواصم
أوروبا وعليها نسج الناسجون وبمثالها اقتدى المقتدون

نشأ المجمع العلمي الباريزي الذي هو مخفر من مفاخر الفرنسيين سنة ١٦٢٩
على يد بضعة أشخاص من أهل الطبقة الوسطى كانوا يجتمعون مرة أو مرتين في
الاسبوع في منزل فالنتين كونرار أمين سر الملك فيباحثون كأنهم في زيارة
عادية في الاخبار والآداب واذا ألف أحدكم كتاباً يعرضه على غيره عن طيب
خاطر فيقولون فيه رأيهم بحرية وكانوا ثمانية رجال ومعظمهم من أهل الادب
ومن أرباب الذوق وأهل الشعور كما تدل عليه مصنفاتهم فضى عليهم نحو أربع
أو خمس سنين وهم يوالون اجتماعهم على هذا النحو والسرور شامل لهم والفائدة
يقتطفون من ثمراتها كل جني هي فالصل خبرهم بريشليو وقد نتم على جمعيتهم
الصغيرة أحد أصحابه ولعل هذا الوزير أراد أن يكون مرجعاً في كل شيء شأن
كبار المستبدين فعرض عليهم اذا كانوا يحبون أن يجتمعوا اجتماعاً عاماً ويتألفوا
جماعة وكان ذلك في أوائل سنة ١٦٣٤ فتردد أولئك المجتمعون أولاً ثم أجابوا
دعوة ريشليو فدعاهم أولاً الى تكثير سوادهم فبعد ان كانوا من تسعة الى اثني عشر
رجلاً أصبحوا ثمانية وعشرين ثم تفاوضوا في الشكل الذي يجري عليه المجمع وفي
مواده وعمله وهو عبارة عن تحسين اللغة الفرنسية وتأليف معجم لها وكتاب
نحو وشعر وبيان لغة الافرنسية ويكون لها من الشأن ما كان في القديم
للغتين اللاتينية واليونانية

مات ريشليو وخلفه في الرئاسة سيكويه من أصحاب السلطان وأخذ المجمع

العلمي صورة من صور ديوان رسمي ثم أخذوا بعد حين ينشرون محضر جلساته واصطلحوا على أن يلقي كل منتخب من زمرة أعضائه خطاباً . وفي سنة ١٧٠٢ قرر المجمع قبول النساء العالمات فيه . وفي رواية ان النساء كن يقبلن في مجمع التصوير والنقش الملوكي في باريز بصفتهن أعضاء منذ عهد بعيد ولكن لا يقبلن في المجمع العلمي الادبي اكثر من غيره . ولطالما كافأ هذا المجمع النساء على ما جادت به قرائنهن من الكتب والرسائل ولم يفكر في ايجاد بعض كراسي لهن يجلسن عليها وكان النساء في مجمع التصوير والنقش ومازلن تمتعات بنفس الحقوق التي يتمتع بها الرجال وكان العقلاء يشكون في بعض الاحايين من دخول بعض الاعضاء في المجمع العلمي بالشفاعة والوساطة لعظم اقدارهم ولكن كانت الاكثرية في الغالب لارباب العلم النافعين من امتازوا بشيء أو كتبوا آثارا نافعة ولم يحرم من الدخول في هذا المجمع من رجال العلم الا أفراد قلائل امتنعوا هم عن الدخول أو كان المانع من دخولهم سبباً ظاهراً

نفع المجمع العلمي اللغة الفرنسية بقاموسه فكانت أقواله محترمة معمولاً بها من الامة ولطالما أسف الانكليز والالمان أنفسهم على عدم توفيقهم لايجاد مثل هذا المجمع فكانت لغاتهم لعدم المسيطرين عليهما مادة رخوة قابلة لكل تغير يتصرف فيها على ما يشاء

وعلى ما يشغل به المجمع من تنقيح اللغة وتهذيبها ينظر في المصنفات التي تعرض عليه ويكافيء عليها المحسنين بالجوائز . وله الآن ثلاث وعشرون جائزة يعطيها كل سنة . منها سبع عشرة جائزة أدبية وما عداها جوائز سموها جوائز الفضيلة

أما مجمع الآثار الفرنسية فقد انشئ سنة ١٦٦٣ من أربعة أعضاء من

أهل المجمع العلمي السالف ذكره وجعل أعماله النظر في حل الآثار والشعار والابتونات وإن تجعل للعاديات القديمة بساطة وذوق تعظم بهما قيمتها الحقيقية وفي سنة ١٧٠١ نظم قانون ذلك المجمع مؤلفاً من أربعين عضواً يقسمون الى أربع طبقات . ويجتمع هذا المجمع مرتين في الاسبوع وأهم عمله البحث في الآثار الفرنسية والتاريخ الفرنسي كما يعنى بالآثار الشرقية والغربية كالاشورية والبابلية والسامية والمصرية وغيرها وفيه خول من الاعضاء المحضين في كل علم من هذه العلوم وهو يعطي جوائز كسائر الاكاديميات الفرنسية ويتخب رئيسه لسنة كما في سائر المجامع ما عدا العلمي الكبير ويعاونه كاتم أسرار دائم وهو محسوب من جملة الاعضاء الاربعين

أما مجمع العلوم في فرنسا فنشؤه مجهول ولم يعرف له تاريخ في الحقيقة الا سنة ١٦٦٦ أيام رخص له الوزير كولبر بأن يجمع في خزانة كتب الملك لما رأى في أعماله من خدمة الامة وفي هذا المجمع الفلكيون وعلماء التشريح والنبات والكيمائيون والمهندسون والميكانيكيون والطبيعيون . زاره لويس الرابع عشر فوفقت زيارته له موقفاً حسناً . وقد خصصت له فرنسا منذ اول نشأته اثني عشر الف ليلة افرنسية لاقتناء الادوات والآلات اللازمة للتجارب الكيماوية والطبيعية وغيرها وعدد أعضائه اربعون أيضاً كالمجمعين السالفين وهم يقسمون أقساماً

اما مجمع العلوم الادبية والسياسية فلم يكن له كيان قبل الثورة الفرنسية وغاية ما في الامر انه أسس نادي « الانترسول » للبحث في هذه العلوم على يد الراهب دي لونكور في سنة ١٧٢٠ فكان يجمع أعضاؤه وهم مائة من العلماء كل سبت ثلاث ساعات يقضون الساعة الاولى في تلاوة بعض اوراق مقتطعة من الجرائد ويتباحثون في الساعة الثانية في الشؤون السياسية ويصرفون الساعة الثالثة

في قراءة مفكرات . فظننت الحكومة الفرنسية فيه سوءاً فأمرت بالغائه
 سنة ١٧٣١ حتى اذا كانت سنة ١٧٩٥ سن قانون لهذا المجمع ينقسم الى أقسام
 قسم العلوم الطبيعية والرياضية وقسم العلوم الادبية والسياسية وقسم الآداب
 والفنون الجميلة . وينقسم قسم العلوم الادبية والسياسية الى ستة أقسام لكل
 منها ستة أعضاء في باريس وستة مشتركين في الولايات يشتغلون في تحليل الافكار
 والعواطف وهو قسم الفلسفة . والثاني قسم الاخلاق وقسم العلوم الاجتماعية
 والتشريعية كالتقنين والحقوق العامة والفقه . وقسم الاقتصاد السياسي كالمسائل
 المالية والاحصائية . وقسم للتاريخ العام والفلسفي وقسم للجغرافيا . ولما قبض
 نابوليون بوناپرت على قياد المملكة الفرنسية أراد أن يلقي هذا المجمع مخافة
 أن يثير حركة في القلوب الجامدة الا انه عاد بعد فتجددت حياته ولما تغيرت
 أنواع الحكومات في فرنسا تغيرت الاحوال على جميع العلوم الادبية والسياسية
 ثم انحصرت أعمال هذا المجمع بعد التيا والتي في الاشتغال بخمسة أقسام وهي
 الفلسفة والاخلاق والتشريع (الحقوق العامة والفقه) والاقتصاد السياسي
 والاحصائيات والتاريخ العام والتاريخ الفلسفي . وقد كثر ماجاد اهل الخير له
 بالاموال ومن رصدوا له الاوقاف فضلاً عما وضعت الحكومة الفرنسية من
 الاعتمادات من اجله فصار يتأتى له بذلك ان يكافيء المحسنين من المؤلفين . اما
 مجمع الفنون الجميلة في فرنسا ايضاً فانه قام مقام عدة مجامع قبله انشئت منذ
 عهد لويز الرابع عشر فاضيف الى مجمع التصوير والنقش مجمع للموسيقى ومجمع
 للرقص . ومن المجامع الفرنسية مجمع التصوير والنقش المملوكي انشئ سنة ١٤٦٨
 والفي سنة ١٧٩٣

وهناك كثير من المجامع مثل اكااديمية سان دوك المؤسسة سنة ١٦٤٩

والمملكة سنة ١٧٧٧ تم الجمع الملكي للرسم الذي أسس سنة ١٦٧١ في باريس وألغى سنة ١٧٩٢ تم مجمع الفنون الجميلة وقد أسس سنة ١٧٩٥ ولا يزال حياً . وفي ولايات فرنسا كثير من المجمع العلمية للتصوير والنقش كما فيها مجمع علي لوسيقى ومجمع للرقص وآخر للجراحة وغيره للطب وهناك جمعيات علمية أيضاً

قلنا ان إيطاليا كانت مبعث المجمع الادبية والعلمية على الطراز الحديث وانها كثرت كثرة عظيمة وكانت هذه المجمع لاول أمرها عبارة عن اجتماع أشخاص انصرفوا الى العلوم والآداب والفنون وظهرت بأسماء غربية دام بعضها وبعضها انقض أعضاءه والزمن جامع ومفروق . وأهم مجمع قام في إيطاليا المجمع الافلاطوني في مدينة فلورنسا بسعد كوسم دي ميديسي كبير دوقات طوسكانيا في عصره وكان تم هذا المجمع درس أقوال افلاطون ثم تفرق اعضاؤه أيدي سياتقب حوادث سنة ١٥٢١ ولم يعودوا يجتمعون ثم أسست بجامع في نابولي ورومية غيت بالآداب والتمثيل والشعر واول جمعية اسست في إيطاليا للبحث في العلوم الطبيعية نشأت في نابولي سنة ١٥٦٠ على يد باتيست بورتا وكانت داره اول مجمع لاجتماع المتحايين في العلم وهم كانوا سداه ولحمته وقد غيت بالبحث في الطب والفلسفة الطبيعية . ثم اتهم هذا المجمع بالسر فاضطر مؤسسه ان يذهب الى حضرة البابا لويز الثالث ويبريء نفسه مما عزي اليه وانحل المجمع وخلفه في رومية سنة ١٦٠٣ مجمع لنسي وكان من جملة اعضائه غاليله صاحب الرأي المشهور في دوران الارض الذي ارداه الجهل في عصره . ثم انشأ البابا بيوس التاسع سنة ١٨٤٧ مجمعا علميا في رومية سماه المجمع البابوي النيسي الجديد وبعد سنة ١٨٧٠ نظم هذا المجمع واطلق عليه اسمه القديم « المجمع النيسي » وهو الآن تحت حماية الحكومة الايطالية ويتناول نحو عشرين الف جنبه في

السنة من الحكومة وهو قسمان قسم العلوم الادبية والسياسية وفرع العلوم الطبيعية والظواهر الجوية

وفي سنة ١٦٥٧ أنشأ الامير ليوبولد دي ميديسي في فلورنسا مجمع سيمتو للبحث في العلوم الطبيعية ثم انحل وأنشئ في مدينة فلورنسا مجمع كروسكا سنة ١٥٨٢ وهو مجمع أدبي أسسه أشهر شعرائها وعني بتصحيح قاموس اللغة الايطالية وهذا المجمع هو حجة الطليان في لغتهم كمعجم المجمع العلمي الباريزي باللغة الافرنسية . وقد ضعف هذا المجمع بعض الضعف ولكنه مازال موجودا وأعضاؤه على قلوبهم نشروا الآن الطبعة الخامسة من معجمه وفي كل من بولونيا وتورين وميلان والبندقية مجامع علمية أدبية كما فيها مجامع خاصة في أمهات المدن الايطالية ومنها ما يرد تاريخه الى سنة ١٥٠٠

أما مجامع الفنون الجميلة فهي بلا شك وافرة في بلدان ايطاليا وكيف وفي أم الصنائع النفيسة والتفنن والدوق وأتم المجمع من هذا النوع مجمع ميلان أسس سنة ١٤٨٣ ومجمع الفنون الجميلة في ميلان ومجمع بولونيا المعروف بالمجمع الكيمني نسبة للبابا كليمان ومجمع جين اللغوي أسس سنة ١٧٥١ ومجمع تورين ومجمع البندقية ومجمع نابولي ومجمع بارم ومجمع مودين ومجمع لوك ومجمع سين وأتم المجمع المجمع الروماني لسان دوك أسس سنة ١٥٨٨ ومجمع الفنون والتصوير أسس سنة ١٨٦٠ في فلورنسا وكان أسس على عهد كوسم الاول امير ميديسي وغيرها من المجامع الصغيرة وفيه بعض أعضاء من الاجانب ولا سيما من الاسبانيين .

أما مجامع اسبانيا فهي مهمة أيضاً . فقد أسس الدوق اسكالونا في مدريد سنة ١٧١٣ مجمعا علميا على نسق المجمع العلمي الفرنسي والاطالي وذلك لنشر اللغة الاسبانية وحفظها فكان اعضاؤه بادئ بدء ثمانية ثم أصبحوا أربعة وعشرين

وله رئيس ينتخب كل سنة وكانت أسرار دائم وقد نشر معجما. وهناك المجمع التاريخي أسس سنة ١٧٣٨ وكان لأول أمره جمعية خاصة جعلها الملك تحت حمايته وهو يعنى بالمباحث التاريخية وعاديات البلاد الاسبانية. وكان أسس في مدريد مجمع للطبيعات وانفض بعد سنين خلفه مجمع العلوم الذي أسس سنة ١٨٤٧ وقد جروا فيه على مثال مجمع العلوم في باريز وهو ينقسم الى ثلاثة اقسام العلوم الرياضية والطبيعية والظواهر. وفي سنة ١٨٥٨ انشؤا في مدريد مجمعا على مثال المجمع العلمي الفرنسي للعلوم الادبية. وفيها مجمع للفنون الجميلة أيضاً

ولحكومة البرتغال في لشبونة عاصمتها مجمع للبحث في التاريخ البرتغالي أسس سنة ١٧٢٠ على يد الملك يوحنا الخامس وازافت اليه الملكة ماري سنة ١٧٧٩ مجمعا للعلوم الزراعية والفنون والتجارة والاقتصاد العام. وقد نظم المجمع العلمي سنة ١٨٥١ وهو قسمان أحدهما للعلوم الصرفة والثاني للادب والتاريخ والحقوق والعلوم الادبية والسياسية وأخذ منذ سنة ١٨٧٩ ينشر مذكرات أدبية برتغالية ومجاميع تاريخية مخطوطة ومفكرات اقتصادية

وتجد في اميركا الجنوبية مجامع عليّة في كل عاصمة من عواصم جمهورياتها وأهمها مجمع الفنون الجميلة في ريو دي جانيرو وعاصمة البرازيل اسسها الملك يوحنا السادس البرتغالي وكان مديره واساتذته من الفرنسيين أولا

وأست البلييك سنة ١٧٧٢ المجمع الملكي البلييكي في بروكسل على يد الامبراطورة ماري تريز ملكة بلاد القاع وهو يبحث في العلوم والادب ومازال الى اليوم سائرا على قدم النجاح وقد ضم اليه كل مافي بلاد البلييك من اهل العلم وحمة لواء الادب وفي كل سنة يعين الملك رئيسا للمجمع من أحد اقسامه الثلاثة في الادب والفنون الجميلة والعلوم. وبينما كانت أوروبا بأسرها

تزهرو بالعلوم والآداب على عهد النهضة والاصلاح كانت البلجيكي وهي تدعى
اذ ذاك بلاد القاع الاسبانية قد خربت ومني سكانها بالحروب الدينية ونزلت
من اوج السعادة الى حضيض الذلة المحزنة . دامت على ذلك طول القرن السابع
عشر وفي تلك الحال التي كانت فيها بلاد البلجيكي على جانب من ضعف القوى الطبيعية
والعقلية سلت ولاياتها لتتمسك بموجب معاهدة اوترخت سنة (١٧١٣) وكانت
الاداب والفنون قد اضمحلت فيها ولم يبق فيها اثر للعلم الا في كلية لوفين والتعليم
فيها على ضعف . فارق الغنى تلك الامة وان لم يفارقها نشاطها واحتفظت بتقاليدها
وبفضل الملكة ماري تريز هبت البلاد من رقدها وانعكس ذاك السبات
الطويل الى يقظة تامة وأعضاء ذلك المجمع ٤٨

وفي البلجيكي مجمع طبي أسس سنة ١٨٤١ أعضاءه أربعون ويقبل أعضاء
شرف بقدر ما يستاسبه وأعضاء مراسلين يبلغ معدلهم مائة رجل منهم ٤٠
بلجيكيًا و ٦٠ أجنبيًا . كما ان فيها مجمعا علميا للفنون الجميلة في مدينة انفرس وفيها
مجامع للصنائع النفيسة في أمهات المدن البلجيكية . ولكن لمجمع انفرس فضل
التقدم على سائر المجامع التي من نوعه لان تلك المدينة نفسها امتازت بالصنائع
والتفنن فيها منذ خمسة قرون وقد أصبح هذا المجمع بفضل الدروس التي يلقاها
في التصوير والنقش والحفر والهندسة كعبة القصاد من مئات من الطلاب في
بلاد البلجيكي وغيرها . وفي هولاندة مجمعان أحدهما يدعى مجمع بلاد القاع أسسه
سنة ١٨٠٨ الملك لويز بونا برت واستحال سنة ١٨٥٢ الى مجمع العلوم والثاني مجمع
ليدن أنشئ سنة ١٧٦٦

ومن اعظم المجامع العلمية في المانيا المجمع الذي اسس في فينا سنة ١٦٥٢
على مثال المجمع الايطالية وليس له مدينة معينة يجتمع فيها بل يغير مقره بحسب

ارادة رئيسه ولكن خزانة كتيبه لم تزل باقية في درسد عاصمة سكسونيا وقد
نشر منذ سنة ١٨٩٥ سلسلة مفكرات تحت اسماء شتى كلها في العلم والطب . ومع
انتشار العلم في بلاد الالمان وكثرة الكليات فيها لم يشعر فيها بالحاجة الى المجامع
العلمية لاول ارتقاؤها فلم تؤسس المجامع في قواعد بلادها الا في القرن الثاني عشر
على مثال المجامع الفرنسية وذلك في مدن برلين ومونيخ وليزيك وغوتنغن .
اسس الفيلسوف الالماني لاينز في برلين بمساعيه وفضل صوفيا شارلوت
حامية الآداب والعلوم في عصرها مجمعا للعلوم . فصدر الامر بانشاء سنة ١٧٠٠
ولم يرض فريدريك الاول ان يعد هذا المجمع من جملة دواوين الحكومة الا
بعد اللتيا والتي واجابة لرغائب زوجته حامية الآداب والعلم فخرى المجمع منذ
ذاك العهد على مثال مجعني لندن وباريز وذلك بجمع المعارف المتفرقة في العالم
وتقريبها من الاذهان وتنظيمها وجعل مجموعة لها واضحة سديدة وان تُنمى
ويزاد عليها وتوضع موضع الاستعمال ويعم امرها وتشربها النفوس على
طريقة امينة مشروعة . قال لاينز الحكيم في قانون هذا المجمع وهو من
انشائه « ان الاسباب التي تبلغ بنا هذا الغرض الذي نرمي اليه هي التأمل
ومراقبة صنع الله وعجائبه في الكون ووصف الاكتشافات والاختراعات وما
صاغته يد الانسان من النفائس والعناية بما عني به الناس واعتقدوه من عقائدهم
وعلى الجملة النظر في جميع هذه الدروس وتطبيقها على العمل فهي كنز العلم
والعمران الاجتماعي وهي المادة التي تساعد على الخير العام والتوفر على الفضيلة
وبث الحقيقة وتمجيد الخالق » الى أن قال : « ألا وانه يجب تطبيق العلم على العمل
وتكميل الصنائع والعلوم بأساليبها والعناية بكل ما ينفع البلاد والشعب في الزراعة
والصناعة والتجارة بل في الضعاف والادام ويعلي شأن المانيا »

وما برحت حال هذا المجمع في ارتقاء وملوك المانيا يعضدونه مدفوعين الى ذلك بدافع طبيعي من حبه للعلم أو بدافع حب الظهور والتباهي في الكمالات حتى جاء زمن على المجمع في القرن الثامن عشر أبدل فيه اللغة اللاتينية التي كان يكتب بها أعماله باللغة الفرنسية لان هذه كانت لغة العلم اذ ذاك ولكن استعمال الفرنسية لم يدم غير عشر سنين ثم خلفتها الالمانية وكثرت واردات المجمع كثرة مهمة بما فتحت به الحكومة الا ان كلية برلين قد غطت على شهرته بما قامت به من الاعمال العلمية ومع هذا دام له شأن يذكر بين الخاصة ولا سيما عند علماء الارض الذين يقدرون أعماله العلمية قدرها وهو اليوم أهم مجمع للباحث اللغوية والتاريخية وله عناية خاصة بالعربية والسنسكريتية .

وفي برلين مجمع للصنائع الجميلة أنشئ سنة ١٧٠٣ وكان مديروه فرنسوين بادئي بدء . وفي بافيرا مجمع للعلوم اسمه المجمع الملكي هو في الدرجة الثانية عن الاكاديميات الا أنه ثقة محترم أسس في مونيخ سنة ١٧٥٩ واشتغل لاول أمره بالمباحث التاريخية وفي سنة ١٨٠٩ نظم شؤونه تنظيما حسنا وعهد برئاسته الى الفيلسوف جاكوني وقسم أعماله الى ثلاثة أقسام وهي الفلسفة واصل اللغات والعلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية .

وفي مونيخ مجمع للفنون الجميلة . وفي اماره ساكس مجمع للعلوم أنشئ في درسد عاصمتها الا أن مدينة ليبزيك مركزه الحقيقي وقد أنشئ سنة ١٨٤٦ وعدد أعضائه سبعون عضوا . ينقسمون الى قسمين القسم الرياضي والطبيعي والقسم التاريخي واللغوي . وفي كل من ليبزيك ودرسد مجمع للفنون الجميلة . وأنشئ في غوتنغن مجمع للعلوم انتظم أمره سنة ١٧٧٠ وهو ذو ثلاث شعب : الرياضيات والطبيعات والتاريخيات والشعبة الطبيعية فيه أثر مهم في الحركة العلمية الالمانية

ويمكن أن يلحق بمجامع ألمانيا مجمع فيينا عاصمة النمسا اليوم ولغته الألمانية
وفي فيينا ماعدا ذلك تجمع علي امبراطوري وضع مشروعه لاينز الفيلسوف
ولكنه لم يؤسس الا سنة ١٨٤٦ على يد الامبراطور فرديناند الاول وهو شعبتان
شعبة للرياضيات والطبيعات وشعبة للتاريخ واللغة وله ٦٠ عضوا مواظبين و٢٤
عضوا بالشرف و١٢٠ عضوا مراسلين وكان أول رئيس له المستشرق الكبير هانز
بورجستال . وأسس في فيينا سنة ١٧٠٤ مجمع للفنون الجميلة

وفي بريطانيا العظمى وايرلندا تطلق لفظة مجمع على المجال التي تعنى بالفنون
الجميلة وما عداها من الجمعيات التي يشترك فيها كثير من رجال العلم والادب
لمقصد بقصدونه وعلم بموهبه وأدب يشدونه يدعى جمعيات . فالجمعية الملكية في
لندن لا تقل عن المجمع العلمي في باريس وبرلين ويرد عهد تأسيسها الى سنة ١٦٦٦
وقد كان شأن هذه الجمعية على عهد جان الاول وشارل الاول من الضعف على
جانب . وكان باكون الفيلسوف اعتاد أن يجتمع هو وأصحابه من أهل العلم
والحكمة في اكسفورد على الدوام للبحث في الموضوعات التي لها علاقة بالعلوم
العملية ولما ارتقى شارل الاول الى عرش انكلترا أصدر اليهم أمرا يعترف بجمعيتهم
وعندها بدأ أمرها بالظهور وما زال شأن هذه الجمعية العلمية زاهرا طول القرن الثامن
عشر والتاسع عشر واشترك فيها كثير من نبلاء البلاد الانكليزية وجميع علمائها
ولكن بدون ان يعطى النبلاء لقباً علياً . وما برحت منذ سنة ١٦٦٥ تنشر كتباً
تحت عنوان القضايا الفلسفية وقد بلغت الى الآن زهاء مائتي مجلد . وفي لندن مجمع
الفنون الجميلة الامبراطوري أنشئ في خلال القرن الثامن عشر وفي ايكوسيا مجمع
للتصوير اسمه مجمع ادمبرغ وفي دوبلين عاصمة ايرلندا مجمع اسمه المجمع الملكي
الارلندي أسس سنة ١٧٨٦ بجانب كليتها وفيها مجمع للفنون الجميلة . وفي بعض

المستعمرات الانكليزية بمجامع علمية مثل المجمع العلمي في مدينة فيكتوريا من أستراليا وفي بلاد السويد والنرويج مجامع علمية كثيرة جروا فيها على قدم المجمع الفرنسي وهي ناحية للغاية . وفي استوكهلم ثلاثة مجامع فيها ثلاث شعب كالمجمع العلمي الباريزي وفيها المجمع العلمي التاريخي وجمع لغوي يبحث في تحسين لغة السويد وفيها مجمع علمي للفنون الجميلة أسس سنة ١٧٣٣ وهو معظم المجمع التي من شكله عبارة عن مدرسة للفنون الجميلة مع متحف وأساتذة وتلاميذ معدل عددهم أربعائة

وفي استوكهلم مجمع علمي على مثال مجمع العلوم في باريز وبرلين أسس سنة ١٧٣٥ على يد العالم تريوالد المشهور في عصره اجابة لدعوة أحد رجال تلك البلاد وعلى نفقاته وكان دعاه الى القاء محاضرات عامة في الطبيعة العملية فحذا حذو تريوالد كثير من أهل الادب حتى اذا كانت سنة ١٧٣٩ أنشأ هؤلاء العلماء في استوكهلم جمعية صغرى غايتها البحث في المباحث العلمية وتعميمها ثم انظموا في شكل مجمع علمي يجتمع في أوقات معلومة ولا يكتفي بالمحاضرات فنجح في شؤونه ونشركا تنشر المجمع العلمية خلاصة بأعماله ونبي خبره الى فريدريك الرابع ملك السويد فجعله تحت حمايته ودعاه لجمع العلوم الامبراطوري في السويد واذا لم يصدق الملك على هذا المجمع شيئاً من مال الحكومة بقي حراً في حكم نفسه بنفسه وادارة شؤونه مستقلاً عن الحكومة وهو الآن يتناول وارداته من الوصايا ومن يحسنون عليه بالاموال ويمدحونه المنع من أهل الخير . ويتعاقب الاعضاء المقيمون في استوكهلم رئاسة المجمع كل ثلاثة أشهر وأعضاؤه من السويديين وغيرهم من الاجانب . وكان هذا المجمع ينقسم سنة ١٧٩٩ الى سبعة أقسام وهي الاقتصاد السيامي والزراعي والتجارة والصنائع الميكانيكية والطبيعة والتاريخ

الطبيعي الوطني والطبيعة والتاريخ الطبيعي الاجنبي والعلوم الرياضية والطب
والادب والتاريخ واللغات

وفي اوبسال احدى مدن السويد مجمع اسمه مجمع العلوم الامبراطوري
أسس سنة ١٧١٠ ولكنه لم يعترف به رسمياً الا سنة ١٧٢٨ وكانت كيفية انشائه
غريبة وذلك ان طاعوناً جارفاً انتشر في اوبسال سنة ١٧١٠ فانفض طلاب
مدرستها الجامعة واقطعت السن المدرسين عن التدريس وختل المنابر من أصوات
الخطباء وساد الملح والقلق في ارجاء البلاد فرأى أحد علماء اوبسال المدعواريك
برزيلوس خازن كتب الكنية وهو مؤرخ وقيقه مشهور في قومه أن يجتمع
أساتذة الكنية في المدرسة مرة في الاسبوع في قاعة المكتبة ليقضوا الوقت في
المحاورات اودية ويخوضوا في الموضوعات الادبية ويطردوا عنهم كما قالوا شيطان
الهموم ويقضوا الوقت بلا ملل فاجتمعوا لأول مرة وسموا بمجمعهم مجمع الفضولين
وكان هذا الاجتماع أساس المجمع العلمي الحالي . ثم غير اسمه وأخذ بفضل أعضائه
ينشر كسائر المجمع مذكراته وأعماله ورسائله ولكن باللغة اللاتينية أولاً وما برحت
تصدر مذكراتهم باللاتينية الى اليوم وان كان معظم الاعضاء يكتبون مقالاتهم
بالالمانية أو بالانكليزية أو بالفرنسية

وفي بلاد النرويج مجامع عليية وان لم تكن في الغاية بموقعها فهي مفيدة
وحرية بأن يشار اليها . ففي كريستيانيا مجمع أسس سنة ١٨٥٧ ومثله في دورتم
أسس سنة ١٧٦٠ يعنى بالبحث في الصنائع والتجارة لا بالعلم المحض . وفي كوبنهاغ
مجمع العلوم الامبراطوري أيضاً أسس سنة ١٧٤٢ على عهد كريستيان السادس
وهو شعبتان الفلسفة والتاريخ والعلوم الرياضية الطبيعية وينشر مذكرات من
أمتع مايؤلف وينشر . وفيها أيضاً مجمع للفنون الجميلة أسس سنة ١٧٣٨

وفي بطرسبرج عاصمة روسيا مجمع للعلوم كان الباديء بإنشائه بطرس
الأكبر تأسس سنة ١٧٢٤ من ثلاث شعب وهي الرياضيات والتاريخ الطبيعي
والتاريخ والفقه ويقضى على أعضائه ان ينصرفوا للتعليم ويعنوا بتخريج تلاميذ
يختارونهم من شبان الصقالية «السلافيين» الاجانب . وكان جميع أعضائه من
غير الروسيين لاول أمره أي من السويسريين والالمان . وقد خدم تاريخ روسيا
وعلم آثارها أجل خدمة في منتصف القرن الثامن عشر وكان أول عضو روسي
فيه الشاعر لومونوروف ورأسته الاميرة داشكوف من سنة ١٨٨٣ الى ١٨٩٤ وهي
التي نظمت جلساته وجعلتها باللغة الروسية وشرعت في نشر عدة مجلات بالروسية .
وانشئت فيه شعب للعلوم التاريخية والاحصائية والسياسية وقسم اللغات الشرقية
وقد خدم العلم أعظم خدمة ونشر عدة كتب ولا سيما قاموسه السلافي الروسي
وقل بعد ذلك عدد الاعضاء الروسيين فيه وقام بعدة بعثات علمية مهمة . وفي
بطرسبرج أيضاً مجمع للفنون الجميلة أسس على عهد الامبراطورة اليزابت سنة ١٧٥٧
وكان أساتذته من الاجانب لاول عهده

ولقد أنشأت الامم النازلة في الجنوب الغربي من أوربا في القرن التاسع
عشر وهي الامم التي أحرزت الاستقلال أو تحاول نيله مجامع علمية لتدل بها على
وطنيتها وتجمع شمل العلماء الذين يخاطبون أوربا في أمرها ومن تلك المجامع المجمع
المجري أسس سنة ١٨٣١ وعاقته حوادث سنة ١٨٤٨ فلم يصبح عاماً الا في سنة
١٨٥٨ ثم قام دعاء الوطنية وأخذوا يستوكفون الا كف فاشترك في الجود له
رجال تختلف طبقاتهم من البارون سينا الذي تبرع بثمانين ألف فلوريني الى
الخدام والخدمات الذين كانوا يوجدون بالقروش الصغيرة فألشي المجمع من
جديد وافتتح بناؤه سنة ١٨٦٥ في بقعة من أجل بقاع الارض على ضفاف الطونة

بين مدينتي بودوبست . وهو خمسة أقسام قسم في أصل اللغات وآخر في التاريخ الادبي وثالث في التاريخ ورابع في الاقتصاد السياسي وخامس في الرياضيات والتاريخ الطبيعي وعلم الآثار وله دخل وافر يمكنه من السخاء على العلم وهو يعين ثلاث مجلات بحرية بقدر من المال . منها مجلة بودابست وهي أشبه بمجلة المجلات الفرنسية تقوم على نشر العلم بين الطبقات المختلفة وتعطي جوائز لبعض المجامع العلمية لمن يبرز في الادب والعلوم

وقد أسس سنة ١٧٦٧ في آغرام مجمع دعي المجمع الجنوبي السلافي في آغرام نشر كثيرا من الكتب المهمة لقدماء كتاب الكرواسيين والصقليين . وفي بلغراد من بلاد الصرب مجمع للعلوم أسس سنة ١٨٤٦ يعنى بالتاريخ والعلم واللغة ولا سيما تاريخ بلاد الصرب وجيولوجيتها وفي كرا كوفيا مجمع لهم أنشئ سنة ١٨١٦ وجعل سنة ١٨٧٢ مجمعا على مثال المجامع العلمية . وأسست في بولونيا عدة مجامع في القرن الثامن عشر ولكنها لم ترق لها قائمة لأسباب سياسية وكانت تعمل بعد اجتماعها بقليل

وفي رومانيا مجمع علي أنشأه الوطنيون من الرومانيين لبيان الآداب الرومانية ووضع حدود لهذه اللغة وقواعد ثابتة لها ولا سيما بعد ان انضمت امارتا مودلافيا الى الافلاق واشتغل هذا المجمع زمنا بتحسين اللغة الرومانية وتصفيتها من الشوائب والبحث في اللغة القديمة واللغة الحديثة .

وفي الولايات المتحدة عدة مجامع علمية مهمة منها مجمع نيويورك ومجمع الفنون الجميلة ومجمع الموسيقى . وأول مجمع علي أنشئ فيها كان على يد العالم فرنسكين سنة ١٧٤٣ ارتأى تعميم المعارف الزراعية فأسس المجمع الفلسفي الاميركي وقد انضم اليه مجمع آخر فتقوى به وما زال فرنسكين رئيسه يجدد انتخابه كل

سنة حتى مات وللجمع مكتبة فيها زهاء ثلاثين ألف مجلد . وأسس سنة ١٨١٢ مجمع العلوم الطبيعية في فيلادلفيا . وهو من أهم المجامع الاميركية وقد جمع له متحف ومكتبة لانظير لها وفي خزنة كتبه زهاء ثلثمائة ألف مجلد وفيها كثير من الكتب في التاريخ الطبيعي للولايات المتحدة ومتحفه مفرد في بابه . وأسس في بوستون مجمع للفنون والعلوم سنة ١٧٨٠ سموه المجمع الاميركي وغايته تنشيط الدروس الاثرية ودرس التاريخ الطبيعي وتطبيق المواد الطبيعية على صنائع البلاد وعلومها وله مكتبة فيها عشرون ألف مجلد وأقيم في بوستون أيضاً سنة ١٨١٤ مجمع للتاريخ الطبيعي ثم خلفه مجمع آخر سنة ١٨٣٠ وله مكتبة مهمة ومتحف وينشر كتباً ومفكرات . وفي نوهافن مجمع للعلوم والفنون وفي نيويورك مجمع للعلوم

وفي سالم من ولاية ماساشوست مجمع للعلوم أنشأه الكريم بابودي فمنحه مائة وأربعين ألف دولار . وفي سان لوي مجمع للعلوم وفي شيكاغو كذلك كما في سيناتي مجمع للتاريخ الطبيعي وفي كليفلورنيا كذلك ومجمع هذه يكبر بكثرة ما يمنح من عطايا الاسخياء . وفي ايوا مجمع للعلوم الطبيعية أسسته عقيلات دافانبور بمالهن . وفي فلادلفيا مجمع لترقية العلوم غرضه أن يطوف أعضاؤه في البلاد ويتباحثوا ويتبادلوا الافكار . وفي أميركا أيضاً مجمع للعلوم اسمه مجمع العلوم الوطني أعضاؤه مائة يجتمع في واشنطن وفي هذه المدينة للمجمع السميثوني أسس سنة ١٨٤٦ بما وقفه عليه جايكس سميثون المتوفى سنة ١٨٢٩ وهو من أهم مجامع الولايات المتحدة وله متحف طبيعي من أعظم متاحف العالم قام بفضل سخاء الاسخياء عليه وهناك عشرات من الجمعيات والمجامع في أمهات المدن الاميركية سواء كان في السكيات أو غيرها تنشر الكتب وتعنى بيث العلم والافراد يمنحونها

المنافع السنية . هذه نبذة في المجامع على اختلاف مقاصدها في العالم المتمدن
لخصناها عن دائرة المعارف الفرنسية الكبرى ورمزنا زاد عددها الآن أكثر من
ذلك فعسى ان يكون فيها للشرق درس نافع

كلمة معتبر

أقوى مصيف القوم والمرجع	فالدار قفر بعدهم بلقع
سارت بنا الارض الى غاية	لنا وللارض هي المرجع
ونحن كلما جرى نابعا	لكن علينا خفي المنبع
والعلم قد أنكر منها جنا	ولم ين أين هو الميع
خرقت يا علم رداء لنا	كنا ارتديناه فهل ترقع
نجعتنا يا علم في أمرنا	أعتب أنت اذا نجرع
لقد طفت حيرة أهل النعي	هل فيك يا علم لها مردع
كم نشرب الظن فلا نرتوي	ونأكل الحدس فلا نشبع
والناس ويل الناس في غفلة	ترتع والموت بهم يرتع
والكون قد لاح بمرآته	للعيش وجه شاحب أسفع
وان في البدر لحطبا به	في البدر لاحت بقع أربع
فالعين مايورث حزنا ترى	والاذن مايزعجها تسمع
والارض في منقلب بالورى	والشمس من مشرقها تطلع
حتى اذا ما بلغت شوطها	لاحت نجوم في الدجى تلع
وهكذا الظلمة تتلو الضيا	والضوء للظلمة يستبع
ونحن في ذاك وفي هذه	بالنوم واليقظة نستمتع

مايين مسعود يمت الدجى نوماً ومنكود فلا يهجع
ومسرع يسبقه مبطي ومبطي يسبقه مسرع
وشامت يضحك من حادث حل بياك قلبه موجع
لو كان للقسوة عين وقد رآته كانت عينها تدمع
والكل في شغب لهم دائم لم يقلعوا عنه ولن يقلعوا
والماء يسمي وشلا تارة وحوضه آونة مترع
والريح تجري وهي ريذانة حيناً وحيناً عاصف زعزع
وبعضهم تمرع وديانه وبعضهم واديه لا يمرع



قد يحسب الانسان آماله والموت مصغ نحوه يسمع
حتى اذا أكل حسابها وافاه ما ليس له مدفع
نفر للجنب صريعاً به وأي جنب ماله مصرع
وظل فوق الارض في حالة يزور عنها الحسب الارفع
لا تعمل الاقلام في كفه وكان من قبل بها يصدع
ولم تعد تقطع أسيافه من بعد ما كان بها يقطع
فاستل مثل السيف من مطرف طرائق الوشي به تلمع
ولف في ثوب له واحد ليس له رقم ولا ميدع
واها له ثوب البلى انه يبلى مع الجسم ولا ينزع
ودس حيث الارض أمست له ملحودة ضاق بها المضجع
حيث البلى يرميه حتى اذا لم يبق في قوس البلى منزع
خالط ترب الارض جثاته ملحونة منه بها الاضلع

لله در الموت من خطه فيها استوى ذوالعي والمصقع
 يخون فيها القول منطيقه كما تخون البطل الادرع
 ما اقدر الموت فن هوله لم ينج لا كسرى ولا تبع
 يارافع البنيان كم للردى من سلم يدرك ما ترفع
 وياطيب القوم لا تؤذهم ان دواء الموت لا يجمع
 لا بد للغرور من مندم بالعض تدمى عنده الاصبع
 وماعسى تغني وقد حشرجت ندامة ليست اذا تنفع
 يابرقع الخلفه واهاً لما فيك واهاً منك يابرقع
 قد زاعت الابصار فيما تري اذ فات عنها سرك المودع
 وليس في الامكان عند النعي ابداع مما خلق المبدع
 بغداد معروف الرصافي

سير العلم والاجتماع

مستقبل علم الاجتماع

نشرت احدى المجلات الاجتماعية آراء خمسة عشر عالماً من كبار علماء
 الاجتماع في اوروبا وأميركا سألتهم عن مستقبل هذا العلم الحديث الذي نشأ في
 الحقيقة منذ ثلاثة ارباع قرن عند ما نشر اوغست كوت الفيلسوف الفرنسي
 فلسفته الحسية وكان بها واضح أساس علم الاجتماع فكانت أجوبتهم على ان هذا
 العلم مازال في حدائمه الاولى ويرجى أن يكون له بعد أجيال اساس راسخ وان
 القرن التاسع اورث هذا القرن فيما أورث من تركته الضخمة مشكلة كبيرة فان
 ترك له ماتم من الارتقاء في العلوم الطبيعية واكتشاف قوانين التشو التي تشمل

العالم فان أهم مشكلة علمية ترك للقرن العشرين حلها هي تحديد الصلات بين الاسباب وقوانين النشوء السارية على الانسانية وان تقسيم العلوم التي يقوم عليها علم الاجتماع والتوفر على خدماتها سيجعل لهذا العلم شأنًا غير شأنه الحاضر ويكون كفيلا بأعظم النتائج وأخص هذه العلوم هي تاريخ الحقوق وعلم الاقتصاد السياسي وعلم الاديان والصنائع والفنون والتاريخ قال أحدهم ان الغاية من علم الاجتماع أن نفهم منه النظم الاجتماعية الحاضرة بحيث يتجلى لنا ما يكون من أمرها بعد وما نريد ان نحولها اليه ولا بد أولاً لفهم قانون من القوانين من معرفة كيفية تركيبه فالنظام الاجتماعي مركب من اجزاء فيتجسم حل هذه الاجزاء بمفرداتها ليتأتى الحكم على كل منها على حدته ولا يكفي في اظهار ذلك ان ننظر الى القانون من حيث انتهى اليه حاله فانه بذلك لا نعرف العناصر المختلفة المؤلف منها كما اننا لا نرى بالعين المجردة الخلايا التي تتألف منها الانسجة في الاحياء او الذرات التي تتألف منها الاجسام فيقضي اداة للبحث لاظهار ذلك ولا سبيل اليه الا بالتاريخ فيه نعرف تلك القوانين التي تألفت قطعة قطعة وكيف جاء بعضها أثر بعض والتاريخ مقام في نظام الحقائق الاجتماعية يشبه مقام الميكروسكوب في نظام الحقائق الطبيعية

سم الدخان

انشأ باعة الدخان في فرنسا يبيعون دخاناً خالياً من النيكوتين اي المادة السمية الموجودة فيه وقد جرب احد علمائهم هذا الدخان في اللغافات والغلايين فبين له انه لا يضر أصلاً كالدخان الانكليزي الذي حقق بمنقوعه بعض الحيوانات فاصيبت بعد ٣٨ الى ٥٦ يوماً بالتهاب الشريان (الابهر الشمالي) المزمع أما المحقونة بالدخان الفرنسي الخالي من النيكوتين فحقت ستين مرة فلم تزد به الاستمناً ولم يظهر عليها عرض من أعراض الامراض

لغة الاسبرانتو

قبلت مدرسة فرنسا في باريس هذه اللغة التي اخترعها الدكتور زنهوف الروسي منذ نحو عشرين سنة بصفتها لغة مساعدة عامة وقد اصبح الذين قبلوا هذه اللغة ٣٠٧ جمعيات عليية وغيرها كما تعلمها ١٠١١ عالماً من علماء الارض على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم

حدائق الاطفال

أنشئت في منشستر حدائق من الرمل يلعب فيها صغار الاطفال الضعاف البنية فيحضرون اليها يحملون محافرو وسطولا (كرا دل) يحفرون ويسقون وتلاحظهم احدى النساء وفي الايام الممطرة ينتقلون الى مكان مسقوف وقدرأى الباحثون ان هذه الطريقة نافعة لتقوية أجسام الضعاف .
التمثيل في آسيا

قال احد علماء الاجتماع ان الامم الكبرى المتقدمة في آسيا ترتاح الى التمثيل ارتياح الامم الاوروبية اليه ومع هذا فان رواياتها التمثيلية منخطة عن روايات الغرب اللهم الا اليابان ففي الهند والصين لا ترى في الروايات التمثيلية اثرًا من الآثار التي تشير الى المضامع الكبيرة التي تسوق اصحابها الى الفتن ولا ابطلا يقدمون على المصاعب ويعانndon الاقدار في احكامها بل انهم يكتبون هناك تمثيل فاجعات عامية تصور اضطرابات الحياة اليومية او عيشة العمالة الا ان الروايات الاوروبية قد اثرت الآن في الهند وان كان بعض أدبائها يريدون حباً بوطنيتهم ان يحيا ما كاد يندثر من آدابهم القديمة مما يدعو الى الامل بأن التمثيل الهندي سيرجع عما قريب الى صورته السالفة التي كان عليها أما الصين فان الذي يغلب عليها في الشخص ذكرا الحياة اليومية وأحوالها والفقر ومشاكله

المؤثرة وتصوير الصدق والخديعة ويرجى التمثيل في الصين ارتفاعاً لاسمها اذا دخلت البلاد بفضل الحركة الثورية التي تنهز الآن اعصابها في قن وطنية كبرى . والتمثيل سيف سيم يجمع الى تمثيل الحقائق كما تنشأها الصين والافكار البنية والفنية كما هي في الهند . وكوريا ممتازة بنوسيقاها . اما يابان فان التمثيل فيها صورة صحيحة من صور المطاعم التي تجول في دور اليابانيين والاعمال التي تدور عليها حياتهم فحده مثلاً من تقاتل الافكار وعراك الرجال وتأثيرات الجمال والشرف يظهر كل مرة بنظر امام المتفرجين . قال ومتى اكثر المترجمون في اوروبا من روايات يابان اكثر مما ترجموا لثمنل للانظار شعور ذاك العنصر وشعره وتقدمه قترى ذاك العنصر الذي هو اعظم مثال في استقلاله كيف يقترب من تمدنا وشعرنا وشعورنا .

مقاومة الالكحول

قدم احد علماء الالمان الى مؤتمر مقاومة المشروبات الروحية الاخير تقريراً قال فيه ان الناس كانوا على ان قليلاً من المسكرات لا يضر ان لم يتبع اما هو فقد بين ان تناولها حتى باعتدال مضر جداً بالنسل وذلك بفجارب كثيرة اجراها على الارانب والكلاب وكان كل حيوان منها يتعاوره بالاختبار ويحفته بالالكحول من مائتين الى ثلثائة يوم فبين ان لسها يضعف شبيب ذلك ضعفاً تحسوساً .

الجمال في الامم

كتب احد الباحثين رسالة فيما يراه كل عنصر من عناصر الارض من اسباب الجمال فقال ان الجمال يختلف الحكم عليه وان ما اجمع الناس على استحسانه قوة الرجال ومرونتهم فقبائل الهونوت يرون ان من كانت وجنتها اكثر نثواً من غيرها تعد ربة الجمال عندهم وزنوج افريقية يعتبرون الاثناء المستطيلة الرخوة والرخيات في شواطيء بحيرة نغانكا يحاولون فتح صدورهم ليكن بذلك محل الاعجاب ومن العادة ان تكون شفاه السود مبرومة ولكي تزيد قبائل انكاسونكي والسيرير شفاهها برمة بدخلن شوكة فيها فيحدث فيها التهاب يؤدي الى انبساط القلب المقرط . والفكوك في قبائل الولف سيف السيفال نائنة كثيراً ويزيدها نسواهم نثواً بان بكرهوا الثنايا عند ما تطلع ان تكون بارزة الى الامام وذلك بان يضعطن عليها بالستين . ومع ان انوف قبائل المالايو والفرغيز والهونوت والبوسمين مغلطحة يزيدها نسواهم قلعطة وقبائل الايتوس في جزيرة يزد على كثرة شعورهم فان نساهم يزدن اغناء شعور وجوههم بواسطة خضاب لتكون لمن شباهت غزيرة وهند اميركا

على ان معظمهم 'جرد قليلو الشعر يتوفرون على لثف شبابتهم وسبلاتهم وحام على ما نفعل
الامم المتقدمة من الافرنج . وانف الفارسي افنى رقيق ومع هذا يزيده من ذلك بالضغط
عليه كثيراً وللمصريين القدماء عيون نجل ومع هذا كانوا يزدون شرطتها بطلاء مخصوص
والسياميون ارباب اهداب متوسه ولا تعد المرأة جميلة عندهم الا اذا كانت اهدابها كهلال القمر .

المعارف في روسيا

عرفت روسيا منذ خمسين سنة انها كلما فتحت مدرسة في بلادها أغلق سجن من سجونها
لان المعارف خير ذريعة الى التقوى واصلاح النفس ثم ادركت ان الغلب الحقيقي سيف
معركة سادوفا بين الالمان والفرنسيين كان بفضل معلم المدرسة الجرماني فالعلم يكون الامة
في سياستها واجتماعها ولذلك بدأت في الاتفاق على المعارف ولكن سكانها الآن ١٤٤
مليون و بلادها متناحية الاطراف واسعة المعالم والمجاهل يصعب اعداد معدات تعليمها سيف
بضع سنين او عشرات ولا بد من ايام تمر واجيال تنقرض حتى يأتي من جمهور الامة اناس
منورون على الفحو الذي تريده الحكومة .

كانت روسيا لما بدأت في عدد أميها دون اسبانيا واطاليا وعلى مستوى البلاد العثمانية
فكانت مدارسها الابتدائية والثانوية قليلة جداً وان تكن كلياتها ومدارسها العالية غاصة
بطلابها . فكانت روسيا في تعليمها اشبه بيت زينت ظاهره وبهرجت ادراجه وحواططه
وموهت سقفه ولكنها لم تظر الى اساس الطبقة السفلى منه .

بلغت المبالغ التي خصصتها روسيا للدارس الابتدائية حتى سنة ١٨٩٧ - ١٤٨٤٦٧٢
روبلًا وهو مبلغ زهيد جداً بالنسبة لذلك الملك الضخم فاصبحت سنة ١٩٠٧ - ٨٢٨٥٠٠٠
روبل ماعدا الاعتمادات التي لتفجها سيف الاحاين لاقامة المدارس وصار عدد مدارسها
الابتدائية سنة ١٩٠٤ تسعين الف مدرسة فيها نحو مائتي الف معلم ومعلمة بين كهنة وعامة
(علمانيين او عالميين) ومجموع ما فيها من التلاميذ خمسة ملايين وثلاثة وتسعون الفا . ومع هذا
فاذا حسب حساب التعليم بالنسبة للسكان كان الواجب ان يكون عددهم نحو ثلاثة عشر مليوناً
وقد طلب ناظر المعارف من مجلس الامة الآن ان يقرر في الميزانية سنة ملايين
وتسعمائة الف روبل زيادة على ميزانية الكنائس لتكون اساساً في جعل التعليم اجبارياً
في روسيا كما ان المجمع المقدس يصرف في السنة عشرة ملايين روبل على مدارس الدينية
ويقول الخيريون ان روسيا اذا ارادت جعل التعليم اجبارياً في بلادها كللتها
وفرنسا مثلاً كان عليها ان تصرف كل سنة ١٢٠ مليون روبل وهو ما لا تقوى ميزانيتها
على تحمله هذا عدا ما يلزم لها من الاراضي واقامة تلك المعاهد اللازمة والالوف من المعلمين

من يقولون في ابتائها . وكيفما دارت الحال فان روسيا تلوب على طرق تجبر الافراد فيها على التعلم قضهم وقضيتهم وذكورهم واناشير .

حبوب العالم

اصدرت الغرفة التجارية في لندن احصاء ذكرت فيه ما يستخرج من الحبوب في العالم فقالت ان محصول الحنطة ٣١٦٠ مليون مكبال تعادل ٨٦٠٠٠٠٠٠ طن (والمكبال عبارة عن ٣٦ لترًا و ٣٥ ووزنه في الحنطة ٢٧ كيلوغرامًا وكسر قليل) ونصف هذا القدر تخرجه ثلاث ممالك فنغل الولايات المتحدة ٦٦٠ مليون مكبال ونغل املاك روسيا في اوربا ٥٤١ مليونًا ونغل فرنسا ٣٢٨ مليونًا واهم البلاد التي نغل النصف الآخر هي الهند نغل ٢٨٦ مليونًا وابطاليا نغل ١٥٩ مليونًا ومانيا نغل ١٢٨ مليونًا والمجر نغل ١٢٠ مليونًا واسبانيا ١١٥ مليونًا والجمهورية الفضية ١٠١ مليون والباقي نغله الممالك الاخرى

وبقدر محصول الذرة في العالم ب ٢٨٩٦ مليون مكبال او ٧٣٥٠٠٠٠٧ طنات نغل الولايات المتحدة ثلاثة ارباعها اي ٢٢٨٦ مليون مكبال ونغل المجر ٣٣٧١ مليون مكبال او ٤٩٠٠٠٠٠٠ طن تخرج الولايات المتحدة منها ٨٧١ مليونًا وروسيا ٨٣٥ ومانيا ٤٩٤ وفرنسا ٣٦٨ وكندا ٣٠٤ والنمسا والمجر ١٩٦ ونغل روسيا نصف الجاودار في العالم فتخرج ٨٩٠ مليون مكبال ومن المانيا ٣٧٢ ونغل روسيا من الشعير ٣٩٧ مليون مكبال ومانيا ١٤٥ والولايات المتحدة ١١٤ واليابان ٨٠ ونغل الصين من الارز ٢٤٥٠٠٠٠٠ طن والهند ١٢٧٠٠٠٠٠ و محصول الارز في العالم قريب من محصول الحنطة ويخرج من الدخن من بلاد الهند ٥٤٣ مليون مكبال ومن الصين نحو ٥٠٠ مليون ومن بلاد روسيا في اوربا ٧٨ ومن بلاد روسيا في آسيا ١٥ ومن اليابان ١٢ ومن الولايات المتحدة ٥ وسيف هذا الاحصاء لم يجر ذكر لمصر والشام والعراق وآسيا الصغرى ولا لتونس والجزائر لان محصولاتها من بعض هذه الحبوب تعد حقيرة جدًا بالنسبة لتلك المكابيل الضخمة سيف تلك الممالك الضخمة .

ثلاثة علماء

فقدت المانيا المستشرق ادوار غلازار المعروف بالآثار الكتابية التي استخرجها من جنوبي جزيرة العرب وفقدت فرنسا الاستاذين باريه دي مينار وهرنوبغ دارنبرغ من علماء المشرقيات المعروفين بخدمة اللغة العربية وآدابها .

الموسيقى والحوانات

كان ميشله المؤرخ اذا أراد ذكر الحيوانات قال « اخواننا المخطون » وقد كتب كاتب مقالة في تأثير الموسيقى في الحيوانات قال من توغل في البحث في التاريخ والسير يشهد ان الموسيقى طالما كانت تؤثر آثارها في الحيوانات . ومن فجع سفر أيوب يجد ان جواد الحرب يحفر الارض في حركته واضطرابه ولا يتألك اذا ضرب البوق . كما يقرأ فيه أيضاً : متى ضرب البوق يسهل الجواد ويشعر بالحرب من بعيد وبقيادة الرؤساء وصوت الادوات . وفي الاساطير اليونانية اخبار عن الحيوانات وتأثيراتها بالنغمات والالخان . وقد ثبت غير مرة ان العنكبوت تتأثر بالالخان ومن لا يذكر عنكبوتة ييليسون الالذب الفرنسي الذي سجن في الباستيل فكان يتلى بضرب الكهفة فتقترب منه وتتعزى به حتى انها لكثرة طربها ذات يوم اغمي عليها فجاء السجن وسحقها . ويظهر ان الحشرات وان تكن قليلة التأثير بالالخان البشرية الا ان لها الالخاناً فلهجنادب والصراصير والجراد الالخان خاصة بها لا يلدننا سماعها لانها متساقفة الالخان لا نظام فيها ولكنها تسجيدها وتستلذ بها وكذلك نسمع للخل في خلاياها دويًا لطيفًا متصلاً ذا نغمات بدعوه المتوفرون على تربيتها صوت الخلية . اما الاسماك فلم يحقق امرها فيما اذا كانت تطرب بالموسيقى وادعى احد المؤلفين ان سمك الشبوط يطرب لسماع نغمات الرباب

وابتث المؤلف شاتوبريان في قصة رواء ان الدبابات تطرب لنغمات الموسيقى . وان بعض الامم المتوحشة تستخدم الاغاني لتحلب بها الحيات فتأكلها كما يفعل الهنود في صيد نوع من الرحافات يستطيعون لها . والضب يتلذذ كثيراً بصوت الموسيقى ولا سيما الغناء الصغير . وسلفاة البحر تبتهج للصغير وبه يتأق صيدها

والطيور تطرب كثيراً للانغام ولا تعني بالطيور تلك التي هي مغنية من طبعها كالشعور والبلبل والعصفور الممدودة بهجة الغابات والحدائق بل هناك كثير من ضرورها تطرب اذا سمعت انغامنا كالبغاة ومنها اجناس لا تستطيع محاكاة الاصوات البشرية ولكنها مع ذلك تقلد صوت الآلات التي نسمعها . و « الحباشة » الذي يألف البيوت اذا سمع نغائنا لا يلبث ان يهيج وينفخ صوته ويكرهه كأنه يريد ان يتكن من الصوت الذي يسمعه وربما امكن تعليمه بعض الالخان . والزرزور سماع للانغام وقد علمه احدهم نشيد المارسيليز فلما نقل الزرزور الى محل آخر علمه لرفاته الزرازير

وذوات الاربع من البهائم كالبحر مثلاً تطرب للنغمات . والثور يطرب لصوت الحراث عليه فيمشي على نغماته متلطفًا كما ان الجمل يطرب للعداء . ولا يقتصر الطرب فيها على

تتوجت صوت الانسان بل ان أي نوع من الاصوات اذا ردد كثيرا يكون سبب السرور وكذلك الحال في الجواد والخيول فانها تثقن المبالك اذا سمعت الاصوات ثم انها تميز بين اصوات اصحابها وغيرهم . والحصان يتألم من الاصوات الرديئة وهو سريع السمع جداً واذا عود سماع الاصوات الرديئة اعتادها وهو يؤثر نغمت الرباب على نغمت الكمنجة ويضطرب جداً للبوق

فان خيول الجند تظهر الفراحة والنشاط عند ما ترى ابواق الاجواق الموسيقية والحمار يحسن السماع والاستماع حتى لقد روي ان حمراً سمع صوت امرأة اطربه فما زال يقترب منه حتى دخل الدار ليسمعها عن أم . والفيل سماع للانغام

وقال بعضهم ان الجرذان تستهويها الانغام وان الكلب البحري قد يصاد بسماع الموسيقى . والذئب لا يضطرب للصوت وربما فرغ منه ولعله يهرب اذا سمع نغم الكمنجة او بوق مبهوق صوتاً شديداً . ومن الدببة ما يرقص على نغمت الاوتار ولكن ليست هذه هي التي تطربها بل تخاف السياط التي تنهال عليها من يضربها فتفرع قوائمها على شخامتها وقلما تخرط الا عن غير قصد . اما الاسود فيقال انها تطرب للانغام وفي انكلترا اسد جال البلاد وكان من اكثر المخلوقات تأثراً بنغمت البيانو وكانت تظهر منه اعاجيب حين يشرع صاحبه في الضرب على هذه الآلة فيزيجر وتقف عيونه شرراً حتى يخاف المتفرجون ويضطرب صاحبه الى الكف عن الضرب على آله

والمر قليل التأثر بالموسيقى وقيل ان بعض المردة تموه عند ما تسمع الانغام . والكلب كثير التأثر بالالخان الموسيقية . والقرود يضطرب للانغام بل هو يتعلم الضرب بالآلات فيضطرب بها كالانسان

وقد قال احد من بكرهون الموسيقى ان الموسيقى هي الصناعة الوحيدة التي تتأثر بها الحيوانات والمجانين والبله . وبالجملة فان تأثر الحيوانات بالانغام دليل واضح على ان الموسيقى عامة للجميع من له سمع



مطبوعات ومخطوطات

معجم الادباء

هو كتاب ارشاد الارب الى معرفة الاديب او طبقات الادباء تأليف ياقوت الرومي من اهل القرن السابع وهو صاحب الكتب الكثيرة في التاريخ والجغرافية واهم كتبه معجم البلدان الذي نشره الاستاذ وستيفلد الالماني لأول مرة في المانيا وهذا الكتاب معجم الادباء نشره الاستاذ مرجليوث الانكليزي . فبأي لسان نشكر علماء المشرقيات لخدمتهم لغات الشرق عامة واللغة العربية خاصة فانهم بفضل بيض ايادهم على لغتنا نزعوا من اذهان الغربيين ان اللغة العربية قاصرة عن مجارة غيرها من اللغات الحية وعرفوهم بانها لغة فنون وحكمة وتاريخ وادب كما هي لغة دين وفقه وكلام .

لا جرم ان نفوس اهل العلم اليوم تهتز سروراً لبشرى طبع الجزء الاول من معجم الادباء لما يعلمون من اجادة ياقوت في تأليفه وذوقه الغريب في الحكم على بلاد الاسلام وسكانها وتواريخها والمادة الواسعة التي توفرت له في عصره فاغتريف منها اغتواف حكيم لا يسقط الا على الدر وبطرح الخرز والصدف جانباً .

وهذا الجزء الاول هو من مخطوطات مكتبة بودليان في اكسفورد واصله من كتب المطران بارتس في بومبي كتب بخط اعجمي لا يحسن العربية فجاء معرقاً تحريفاً كثيراً وصححه الاستاذ مرجليوث على قدر الامكان على الاصول المعروفة من دواوين وكتب ادب ومحاضرات وتاريخ وغيرها فجاء شاهداً بفضل وعلمه وما هي اول حسنة من حسناته في خدمة اللغة العربية ونشر ما انطوى من اقلام مؤلفيها الفارين وشعرائها المجيدين .

وما قولنا لمن يرون في مثل هذه المطبوعات التي ينشرها علماء المشرقيات بعض تحريف خفيف من نقط او كلمات قد تدرك بالبداهة انكم اذا توليتم من هذه الكتب ما يتولاه اولئك الاعاجم الفيورون منها لجأت اكثر تحريفاً وتصحيفاً من مطبوعاتهم واحر بمن يبادرون الى النقد ان ينشروا للناس ولو كتاباً واحداً يكون في صحته على الرسم الذي يرسمونه ليصدقهم اهل العلم .

في هذا الجزء نحو ١٣٠ ترجمة لمن اسمهم ابراهيم او احمد منهم المشاهير الذين ترجموا في الكتب المطبوعة التي بين ايدينا ومنهم من لم نعتزلم على تراجمه الا فيه وقد صورهم المؤلف تصويراً بديعاً لا يقل عن تصوير ابن خلكان وابن ابى اصيبعة وابن بسم والفطحي والسخاوي لترجمتهم ان لم نقل انه يمتاز على بعضهم .

قال المؤلف « جمعت في هذا الكتاب ما وقع اليّ من اخبار الفخوين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين واصحاب الرسائل المدونة وارباب الخطوط المنسوبة والمبينة وكل من صنف في الادب تصنيفاً او جمع في فنه تأليفاً مع ايثار الاختصار والاعجاز في نهاية الاجياز ولم آل جهداً في اثبات الوقايت وتبيين المواليد والاوقات وذكر تصانيفهم ومستحسن اخبارهم والاخبار بانسابهم وشيء من اشعارهم فاما من لقيته اولقيت من لقيه فاورد لك من اخباره وحقايق اموره مالا ترى لك بعده تشوقاً الى شيء من خبره واما من تقدم زمانه وبعد اوانه فاورد من خبره ما ادت الاستطاعة اليه ووقفتي النقل عليه في تردادي الى البلاد ومخالطتي للعباد الى ان قال « ولم اقصد ادباء قطر ولا علماء عصر ولا اقليم معين ولا بلد معين بل جمعت للبصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان وتفاوت الازمان » .

وهذا الجزء في ٤٣٥ صفحة مطبوع بمطبعة هندية بصرة طبعاً نفيساً وقد طبع باسم جيب Gibb المستشرق وقد كانت العقيلة جيب ام الياس جون ولكنسن جيب وقفت وفقاً بعد موت ابنها هذا وكان مغرمًا بدرس علوم الشرق وفلسفته وتاريخه ليطلع برعمه مايلي شأن المباحث الفلسفية والتاريخية والادبية سواء كانت تلك المصنفات للترك او للفرس او للعرب وقد طبع منذ سنة ١٩٠١ ستة كتب ومنها مجمع الادباء وهي تعد سبعة عشر كتاباً آخر للطبع لا جرم ان احياء مجمع الادباء مما يقفنا على امور كثيرة كنا نجهلها من قبل وفيه من الشعر والنثر والمخاضات والنكات ما هو مسرة للقلب وقرة للعين وانك ترى يا قوتنا يا نيك بما قيل في المترجم ذمًا ومدحًا ويترك للقاري الحكم في ذلك . فدمج الادباء كوفيات الاعيان كلاهما متم لصاحبه فنشكر لاسره جيب هذه المبرة الخالدة كما نشكر للاستاذ مرجليوث عنايته وغيرته .

تقرير مصر والسودان

صدر تقرير السير الدون غورست معتمد انكلترا في هذا القطر عن سنة ١٩٠٧ وهو في المالية والادارة والحالة العامة في مصر وفي السودان وفيه فوائد كثيرة عن القطرين في السنة الماضية لا يظفر بها الانسان الا في المظان البعيدة المثال ويؤخذ منه ان ايرادات الحكومة المصرية زادت في مدة عشرين سنة نحو ستة ملايين جنيه ولكن ثلثي الزيادة حدث في السنوات الخمس الاخيرة والسبب الاكبر في هذا النمو الارتفاع المستمر في اسعار

القطن التي تضاعفت في السنوات العشر الأخيرة وكان متوسط قيمة الصادرات ٣٠٩٢٠٠٠ ج م والواردات ٢٥٠٦٦٠٠٠ ج م ومتوسط زيادة الوارد على الصادر من التقويم ٥٠٢١٠٠٠ ج م ودفع اربعة ملايين ونصف جنيه للجانب من فوائد الدين المصري يدخل فيه خراج الدولة العلية ونفقات الخزان ونفقات جيش الاحتلال وكانت ايرادات الحكومة ١٦٣٦٨٠٠٠ ج م ومصرفاتها الاعتيادية ١٣٢٣١٠٠٠ والخصومية ١٠٤٩٠٠٠ ومعظم الايرادات في زيادة كما ان معظم النفقات كذلك

وبلغ مجموع الدين المصري ٩٦١٨١٠٠٠ ج م في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٦ ومال الفائدة والاستهلاك ٣٦٩٩٠٠٠ ج م وسدد من اصل الدين ٣٤٧٠٠٠ ج م فيكون الدين الباقي على مصر ٩٥٨٣٤٠٠٠ ج م ومال الفائدة والاستهلاك السنوي ٣٦٤١٠٠٠ ج م وعند الحكومة وصندوق الدين سندات من اصل هذا الدين بقيمة ٨٣٨٦٠٠٠ فاندتها ٣١٧٠٠٠ فمجموع الدين الذي كان الجمهور يتداول سندات في آخر السنة بلغ ٨٧١٤٨٠٠٠ ج م والفائدة التي يدفعها سكان القطر ٣٣٣٤٠٠٠ ج م وما يدل على ميل الناس الى التعلم والاستشارة ان عدد من زاروا حديقة الحيوانات في القاهرة بلغوا الى آخر نوفمبر سنة ١٩٠٧ - ٢٢٨٩٢٤ اي بزيادة ٢٤٢٣٨ عن مثله في السنة التي قبلها ومعظم الزائرين مصريون وكثيرون منهم من اهل الارياف وبلغ عدد الذين دخلوا غرف القراءة في دار الكتب المصرية ١٨٨٣٠ معظمهم مصريون

وبلغت جملة الواردات التجارية ٢٦١٢٠٧٧٧ ج م بشت منها انكثروا الى مصر ٨٤٩٢٨٤٧ وجاء من املاكها في البحر المتوسط ٢١٣٠٧٠ ومن املاكها في الشرق الاقصى ١٠٨٦٨١٨ وجاء من فرنسا ٣١٦٦٨٩٠ ومن البلاد العثمانية ٢٩٧٣١٠٨ ومن النمسا والمجر ٢٠٥٩٤٣٣ ومن المانيا ١٣٩٣٣٨١ ومن ايطاليا ١٣٦١٤٥٧ ومن البلجيك ١٠٢٧٥٩٠

وبلغت جملة الصادرات ٢٨٠١٣١٨٥ اصاب بريطانيا منها نحو ٥٤٣ في المئة ويختلف نصيب كل من المانيا واميركا والنمسا والمجر وفرنسا وروسيا من الصادرات بين مليون ومليونين وقد زادت جميعها الا فرنسا فانها نقصت قليلا عن السنة التي قبلها وفي التقرير فوائد لا يستغني عنها اين هذا القطر خصوصا وهو يطلب من ادارة المانظم بعشرة قروش